19me, année No953

Le Caire 8 — 10 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

م

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٧١ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

فى مفرق الطرق

للأستاذ سيد قطب

« من كتاب السلام العالمى والإسلام يصدر بعد أيام . . . »

تقف الكتلة الشيوعية اليوم فى جانب ، وفى الجانب الآخر تقف الكتلة الرأسمالية . وتحاول كلتاهما أن تستدرج البقية الباقية من العالم إليها ؛ وأن تستخدم فى المجزرة موارد هذه البقية . مواردها البشرية والاقتصادية ومواقعها الاستراتيجية

فأما الكتلة الرأسمالية بقيادة أمريكا فتستخدم عدة وسائل لهذه الغاية :

تستخدم أولا عامل التخويف للرأسمالية فى كل أنحاء العالم — وبخاصة العالم العربى — من الشيوعية التى تزحف يوما بعد يوم ، وتناشدهم المصلحة المشتركة بينهم وبينها ؛ وتلجأ فى ذلك إلى المحالفة الطبيعية بين الرأسمالية المحلية والرأسمالية العالمية

وتستخدم ثانيا الضغط السياسى والاقتصادى — وأحيانا الضغط المسلح — فى البلاد الواقعة فى ربقة الاستعمار المباشر وغير المباشر ، كما هو الشأن فى مجموعة البلاد العربية

وتستخدم ثالثا إغراء الدولار تحت عنوانات كثيرة . منها ذلك العنوان الجديد الذى خلف مشروع مارشال . وهو عنوان : « النقطة الرابعة » فى مشروع ترومان !

وهى على العموم تخاطب الطبقات الحاكمة والمتنفذة ، ولا تعتمد كثيرا على الجماهير الكادحة ؛ لأن مصالح هذه الطبقات معلقة بانتصار الكتلة الرأسمالية . وتبذل جهودا ضخمة فى هذا السبيل دون أن تلقى بالا إلى مطالب الشعوب القومية ، لفرط ثقتها بالطبقات الحاكمة والمتنفذة ، ويقينها أن هذه الطبقات لا تعادى الاستعمار عداء حقيقيا فى سبيل مطالب شعوبها القومية .. وسيظل موقفها كذلك إلى أن تتولى هذه الشعوب قضاياها بأنفسها ؛ وتبرهن على أنها لا تستنيم لشعوذات المشعوذين من زعمائها وكبرائها ، وأنها معتزمة أن تسبب للاستعمار وللجبهة الرأسمالية متاعب حقيقية ، وتعرض مصالح هذه الجبهة وجيوشها لأخطار حقيقية . . . وعندئذ فقط تفكر الكتلة الرأسمالية الاستعمارية فى الإنصات لصيحات هذه الشعوب

إن هذه الكتلة تريد أن تضمنا إليها لتستطيع أن تجند من العرب وحدهم مليونا — كما ورد فى بعض البرقيات — ثم لتتخذ من بترولنا ومواردنا الغذائية ، ومواقعنا الاستراتيجية عدة للنصر فى الذبحة العالمية المنتظرة . وبخاصة بعد تلك الصفعة القاسية التى أصابتها فى إيران ، وما تزال تترنح منها

ولقد قيل فى الحرب الماضية : إن الحلفاء كانوا يطهرون حقول الألغام أحيانا فى الصحراء الغربية بإطلاق الجمال والبغال فيها . فإذا عزت عليهم الجمال والبغال أطلقوا زنوج المستعمرات الإفريقية ، يطهرون بأشلائهم المتطايرة حقول الألغام !

وسواء صح هذا أم لم يصح ، فإن وظيفة جند المستعمرات

كانت دائماً هي تطهير حقول الحرب ، وتمهيدها للسادة البيض ، واحتمال الصدمة الأولى في المعارك الحامية

وفي الحرب الكورية الحديثة تاق الألاي التركي الذي ذهب إلى هناك نفس المصير ، وقام بنفس الدور . ولن يكون مصير المليون من الخراف العربية التي سيقدمها السادة هنا لحلفائهم الطبيعيين ، إلا كمصير جند المستعمرات ، ومصير الألاي التركي ، في الحرب القادمة ، إذا قدر لها أن تهيج !

— وأما الكتلة الشيوعية فتخاطب الجماهير الكادحة . تخاطب الملايين التي تنتج كل شئ وتجوع . تخاطب المدات الخاوية والأجساد العارية . تخاطب الضحايا التي طال عليها الإهمال ، وطال عليها الحرمان . فأصبحت تستجيب لكل من يلوح لها بالرغيف ، وكل من يمدها الخلاص من الترف الفاجر الداعر الذي تزاوله على مرأى منها ومسمع فئة قليلة العدد ، فاحشة الموارد ، بينما الشظف الكافر السافر يجعل هذه الملايين الكادحة حطاما ، ثم يفتت ذلك الحطام !

وهي تستخدم كذلك أخطاء الاستعمار وجرائمه ؛ ورغبة الشعوب المستعبدة في إلقاء هذا النير عن أعناقها ، والاستمتاع بالحرية الطبيعية التي يغتصبها الاستعمار الفاجر الآثم ، بمعاونة الخونة من المستغلين في هذه البلاد . كما تستفيد من مقاومة الصليبية الغربية ، والرأسمالية المحلية لكل دعوة إسلامية عقيقية ، وكل عدالة اجتماعية إسلامية

وعلى أية حال فإن كلتا الكتلتين تحاول أن تلقي في روع البقية الباقية من العالم ، أن ليس للبشرية كلها إلا أن تسلك طريقا من طريقين ، وأن تنضم إلى كتلة من الكتلتين ، وأنه لا مفر من أن تنتصر الجبهة الغربية ، أو أن تنتصر الجبهة الشرقية ، ليسود السلام ، وتنعم البشرية بالأمن ، وتصل الإنسانية إلى استقرار ؛ وأن انضمام البقية الباقية من العالم هو السبيل الوحيد لتغليب إحدى القوتين على الأخرى بصفة حاسمة ، لإنهاء حالة القلق والتأرجح والاضطراب . .

فأين وجه الحق في هذه الدعوى ، وأين وجه المصلحة القومية والمصلحة الإنسانية في هذا الادعاء ؟

إنه ليس من مصلحتنا نحن ولا من مصلحة الإنسانية أن تغلب الآن إحدى الكتلتين على الأخرى وتمحوها من الوجود محوا ؛ فنحن في دور استكمال وجودنا الطبيعي في الحياة ، واستنقاذ مصالحنا المغصوبة بأيدي المستعمرين، ليس من مصلحتنا أن تهزم الجبهة الشرقية هزيمة نهائية ، ولا من مصلحة الإنسانية كذلك . وإن وجود هذه الكتلة بهذه القوة في هذه الفترة لهو إحدى الضمانات لنا لنستخلص هذه الحقوق يوما بعد يوم ؛ كما أنه الضمانة المؤقتة للبشرية ألا تسيطر عليها قوى الاستعمار الجائر الغاشم الظالم . وإذا كان فينا من يحسن الظن بأمريكا ، ويظن أن سيطرتها ستحد من شرة الاستعمار ، فلينظر كيف تقف أمريكا في صف هذا الاستعمار ، وكيف تمده بقوة الحديد والنار عند الاقتضاء . على أنني أعيذ البشرية أن يستبد بها الصلف الأمريكي السخيف ، الذي لا يقاس إليه الصلف البريطاني ذاته في أرض المستعمرات . إن عداوة الأمريكي للملونين عداوة كريهة بغيضة ؛ وإن احتقاره للملونين لتهون إلى جانبه تعاليم النازية ؛ وإن صلف الرجل الأبيض في أمريكا ليفوق كل ما كانت تتصوره الهتلرية . وويل للبشرية يوم يوقعها سوء الطالع في ربقة هذا الصلف الأمريكاني بلا قوة في الأرض تخشى ويعمل لها حساب !

كذلك نحن في حاجة مؤقتة إلى وجود القوة الشيوعية في الأرض ، لتخويف الطغاة والمستغلين ، واسترداد حقوق الجماهير المسلوبة ، في ظل هذا التخويف ! وإننا لندين لوجود هذه القوة بالشئ الكثير من مشروعات العدالة الاجتماعية الضئيلة التي تحاولها السلطات في هذه البلاد ، ولولا الخوف من الشيوعية ما تم منها كثير ولا قليل !

ولكن هذا كله ليس معناه أنه من الخير لنا وللانسانية أن ينتصر المعسكر الشرقي انتصارا حاسما كاملا ، وأن يتحقق ذلك الحلم الشيوعي الواهم ، ويدين للشيوعية الجميع

إن هذا المعسكر لا يبغي لنا الخير ، ولا يطيق أن تكون لنا فيه كرامة . إنه يريدنا جنودا له أو عبيدا ، لا أن يكون لنا وجود ذاتي وكيان محترم . ولقد دلتنا تجربة فلسطين على حقيقة ما تضمره لنا روسيا الشيوعية . لقد وقفت منا موقف العداء في مجلس الأمن ، كما أن أسلحة الكتلة الشيوعية لليهود هي التي وقفت في وجوهنا بفلسطين ، ذلك أن روسيا كرهت أن يكون

للأمة العربية كيان ، وأشفقت أن تستحيل الكتلة العربية قوة حقيقية تستعصى على السيادة الشيوعية فى المستقبل ، فآثرت أن تتبخر كل دعاواها فى حقوق الشعوب الطبيعية ، وأن تخسر أساسا من أسس دعايتها ضد الاستعمار ، وأن تسمح بقيام دولة إسرائيل على أساس الدين وحده — وهو أكبر ما تنكره الشيوعية — آثرت ذلك كله على تقوية الكتلة العربية ، وضربتها تلك الضربة القاسية المنكرة ، لتقوم إسرائيل فى جنبها كالشوكة ؛ تمزق وحدتها الجغرافية ، وتفصل حدودها المتصلة ، وتحرمها التماسك والقوة والشخصية . إن روسيا عدوة وحدتنا وقوتنا ووجودنا الذاتى . وكل ما تلوكه ألسنة دعايتها هو مجرد أسلحة فى صراعها مع الكتلة الغربية ، كدعاية هذه الكتلة ضدها سواء بسواء

إنه لا بأس فى نظر الشيوعية الروسية أن تأبى على الكتلة الغربية فى استخدام مواردنا فى الحرب ضدها . أما أن يكون لنا كيان ذاتى ، وقوة شخصية ، ووجود قوى فلا ! وإن دعاتها فى بلادنا ليفزعون كما لو كانت قد لدغتهم أفعى ، إذا سمعوا دعوة للتكتل الذى يوجد لنا شخصية قومية . إنهم لا يريدوننا إلا ذيولا ذليلة تنعق بالشيوعية ، وتؤدى لها التسهيلات الممكنة فى أرضنا حين يستعر القتال ! وهو وضع تأباه علينا كرامتنا ، وتأباه علينا مصالحنا ، بل يأباه مجرد الشعور بأننا أناس ، لا سوائم ولا أشياء !

والشيوعية قد يكون لها اليوم لألاء فى عيون الكادحين والمحرومين ، الذين تصاغ دماؤهم يواقيت للنحور والصدور ، ويقطر عرقهم كؤوسا للسكارى والمخمورين .. ولكن تصور البشرية كلها نسخا مصبوبة فى قالب الشيوعية الواحد ، لا يسمح لفكر واحد فيها أن يشذ ، ولا لقلب واحد فيها أن ينبض بخالجة لا يرضاها ستالين .. هذا التصور وحده تقشعر منه الأبدان ، ويشفق من تحققه كل إحساس آدمى سليم !

على أن طبيعة الحياة تأبى الانتصار الكامل الحاسم لقوة واحدة من هاتين القوتين المادية ين اللتين لا يفرق بين طبيعتيهما إلا اختلاف المصالح والمطامع . وإن الهزيمة لتنبت فى زحمة النصر ، كما أن النصر ينبت فى ركام الهزيمة . وها نحن أولاء نرى أن الحلفاء الذين بذلوا ما بذلوا ليقهروا ألمانيا واليابان ؛ ينحنون اليوم على الحطام والأشلاء ليستنقذوا منها المارد الذى صرعوه بالأمس ، كى يستعينوا به على المارد الجديد .. نفس الذى فعلوه بعد الحرب العالمية الأولى . ولئن انتصروا غدا على الجبهة الشرقية ، فليواجهن ألمانيا من جديد . ولئن انتصرت الشيوعية فلينبتن لها عدوها من ذات نفسها ، من الضغط والكبت اللذين لا تطيقهما البشرية طويلا . وقد بدأت يوغسلافيا حتى قبل المعركة ، وسيتبعها التشقق فى المعسكر الشيوعى لنفس الأسباب ، أو بسبب الجمود والتوقف الناشئين من صب البشرية كلها فى قالب واحد ، تسيطر عليه فكرة واحدة ، لا تسمح بأى تطور بعد مرحلة الشيوعية التى تعدها ختاما للحلم الماركسى لا تتعداه ! وإنها للمنة لا تصاب بها الإنسانية إلا وقد أريد بها شر عظيم

إنه لمن السذاجة أن نتصور أننا نستطيع أن نجنى ثمار السلام العالمى من وراء اصطدام هاتين الكتلتين الضخمتين فى حرب حاسمة أخيرة . ولقد كان الطيبون الأبرياء فى العالم يتخيلون هذه الثمرة الحلوة يانعة بعد كل من الحربين الماضيتين ، فلم تطلع شجرة الحرب إلا ثمرات مرة ، تجرعها هؤلاء الطيبون الأبرياء ، وكان الجنى الحلو كله للطغاة والمستغلين ، من الشرقيين أو من الغربيين

إن طريق الخلاص للبشرية المنكودة الطالع لن يكون هو الانضمام إلى هذا المعسكر أو ذاك ، ليسحق أحدهما الآخر سحقا ويخلو له وجه العالم ، ويسيطر عليه وحده ، ويسيره كما يريد

إن المعركة فى صميمها ستدور فى أرض غير أرض الكتلتين ، ستدور فى تركيا والعراق وسورية ومصر والشمال الإفريقى ، وفى باكستان وأفغانستان ، وفى منابع البترول العربية فى عبادان والظهران ... إنها ستدمر مواردنا نحن ، وتحطم حياتنا نحن ، وتدع أرضنا بلقعا خرابا يبابا . وسواء علينا انتصرت هذه أم انتصرت تلك ، فسنخرج نحن من المعركة فتاتا وحطاما ، لا كما خرجت أوربا من الحرب الماضية ، ولكن كما لم تخرج أمة من حرب قط . وإذا كانت هيروشيما قد ذهبت مثلا بقنبلة ذرية صغيرة ، فسنكون نحن تلك الفئران الصغيرة لتجارب القنابل الذرية ؛ والقنابل الهيدروجينية ، وغاز الموت الزاحف ، وأشعة الموت السحرية ، وحرب الميكروبات الطائشة ، وسائر ما يتمخض منه الذهن الكافر فى دنيا الضمير الغربى الملوث

إن طريق الخلاص هو أن تبرز إلى الوجود من أرض المعركة المنتظرة كتلة ثالثة تقول لهؤلاء ولهؤلاء : لا ! لن نسمح لكم

أبو الثناء الألوسى الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود العبطة

١ — عصر الألوسى الكبير :

عاش الألوسى الكبير السيد أبو الثناء فى بغداد ، وفيها ولد وبها مات . وكانت بغداد فى العصر الذى عاش فيه ، وهو يمتد من منتهى القرن الثامن عشر حتى ينيف على منتصف القرن التاسع عشر الميلاد ، أيالة من أيالات الدولة العثمانية ، تتعاورها الخطوب ، وتصب عليها المصائب ؛ فمن جهل وأمية وأوبئة واغتصاب للحقوق وسلب للحرية ، وغزوات من القبائل المجاورة إلى غارات متتالية متتابعة من إيران وبلاد نجد ... وقد عاصر الألوسى الكبير خمسة ولاة من ولاة بنى عثمان على بغداد ، اثنان منهم وهما داود باشا (١٧٧٠ — ١٨٤٩ م) وعلى رضا باشا (تولى عام الولاية ١٨٣١م) ، من أشهر ولاة بنى عثمان الذين تولوا مدينة السلام بعد المصلح الشهير المرحوم مدحت باشا الذى جاء بعدهما بسنين قليلة . إذ أدخل الأول — داود باشا — أنظمة جديدة للادارة الحكومية وأوجد حرسا من المماليك والأغوات لقصره ، وتمكن بدهائه وذكائه أن يجعل الأمن يستتب فى أنحاء العراق ، كما قضى على الفتن والثورات الداخلية وقام بأعمال عمرانية وشق الترع والأنهر ، وكان مع ذلك يؤيد التقدم العلمى والثقافة العقلية [1] حتى بلغت المعاهد العلمية فى عهده ثمانية وعشرين معهدا[2] ودام حكم داود فى بغداد أربع عشرة سنة وقد رغب فى أواخر حكمه الانفصال عن الدولة شأن محمد على الكبير والى مصر وعزيزها ؛ فأعلن استقلال العراق عام ١٢٤٥هـ أما الوالى الثانى وهو على رضا باشا الشهير باللاز ، فقد كان كسلفه

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لستيفن لونكريك ترجمة جعفر خياط (ص : ٢٢٧)

(٢) مختصر تاريخ بغداد — لعلى ظريف الأعظمى (ص : ٢٢٣)

بأن تديروا المعركة على أشلائنا وحطامنا . إننا لن ندع مواردنا تخدم مطامعكم ، ولن ندع أجسادنا تطهر حقول ألغامكم ، ولن نسلمكم رقابنا كالخراف والجداء !

إن هذا وحده هو الذى يعيد إلى الأدمغة المحمومة شيئا من الهدوء ، وإلى الخطوات المجنونة شيئا من الاتزان ، ثم يشعر هؤلاء وهؤلاء أن فى هذه الرقعة الفسيحة الضخمة الهامة ناسا ، يحسب لهم حساب ، لا كميات مهملة ، ولا ماشية وأذناب

وإن الذين استمرءت دعايات الكتلتين أرواحهم ليقولون : إن هذا مستحيل ما إليه من سبيل . فنحن لا نملك القوة التى نقف بها حاجزا بين الكتلتين ، وستدوسنا الأقدام من هنا أو من هناك ، ولا يغنى عنا أن نعلن الحياد ، أو أن ننضم إلى هذا أو ذاك

وأنا أدرك كيف تستعمر الدعاية الأرواح والأذهان ، ولكنى لا أدرك كيف يهون الناس على أنفسهم إلى هذا الحد الزرى ، وكيف لا يخجلون أن يصبحوا بإرادتهم عبيدا وأشياء

إن جيشا ما لا يأمن أن يدير المعركة فى أرض معادية ؛ يتربص به أهلها الدوائر ، ويتلفون ذخيرته ومؤنه ؛ ويقطعون خطوطه ومواصلاته ؛ ويتجسسون عليه للعدو ؛ ويحرمونه الهدوء والراحة ؛ سواء سالمهم فتركهم إلى ما هم فيه ، أو تولى الحملة عليهم ، ليواجه الثورة الداخلية بينما هو يواجه الأعداء فى الميدان

ولقد هزم الجيش الألمانى الظافر مرتين بسبب الثورات والانتفاضات الداخلية ، قبل أن يهزم فى ميادين القتال . وما من جيش يواجه عداء الشعوب وهو آمن فى قديم الحروب أو حديثها ، وما يؤمن بذلك إلا المستغفلون الأذلاء !

إن هذه الشعوب التى تعد مئات الملايين ، والتى تتحكم مواقعها الاستراتيجية فى نتائج أية حرب عالمية ؛ وتتحكم مواردها الطبيعية فى النصر والهزيمة .. إن هذه الشعوب لا تعجز عن شئ حين تريد . وكل قول غير هذا هراء !

سيد قطب

داود ، يحب النظام ويسعى إلى تطبيقه ، وهو الذى أمر القائد التركى (قاسم باشا) بضرب الحصار على مدينة بغداد وإخراج داود منها ، ودام الحصار مدة ولم يرفع إلا بانتشار الطاعون فى الجيش المحاصر الذى تسرب إلى المدينة . وقد اتفق مع هـذا المرض السارى الوبيل فيضان دجلة على أطراف بغداد فبغداد نفسها ، فكان كرب عظيم ، وكانت النفوس تقضى بين القتل والغرق وفتك المكروب ، وكان يموت أو يقتل فى اليوم الواحد مائة وخمسون نفرا على أقل تقدير ، وقد وقع الطاعون والفيضان فى أواخر عام ١٢٤٦ هـ . وبعد دخول الوالى الجديد على رضا وقد هلكت أكثر نفوس بغداد حتى لم يبق من نفوسها غير عشرها ! كما تدمرت مرافقها العمرانية وقصورها ومنشآتها الأخرى . وهنا لابد أن نشير إلى التصادم المسلح الذى وقع بين أعوان الوالى القديم وأعوان الوالى الجديد وهـذا أدى إلى قتل الكثير كما أدى إلى حريق عظيم انتشر فى بغداد

وقد عمد الوالى الجديد على رضا إلى ترميم ما وقع ، كما سعى بدهائه إلى القضاء على سلطة المماليك والانكشارية وبذلك أنهى عصر المماليك الذى دام ثلاثة وثمانين عاما (من ١٧٥٠ إلى ١٨٣٣) والذى ختم بانتهاء حكم داود باشا . وبعد القضاء على سلطة المماليك التى أنزلت على البلاد خسفا وظلما ، دبت الحياة فى بغداد ورجع إليها أهلوها الذين تفرقوا أيدى سبأ فى القرى المجاورة والمدن البعيدة ؛ كما دخلتها التقسيمات الإدارية والتنظيمات الحديثة فى جهاز الدولة المتداعى ؛ إذ أنه فى عهد على رضا أصدر الخليفة العثمانى عبد المجيد (خط كولخانة) وذلك فى عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ، وهذا الخط فى أول بشائر الإصلاح فى الولايات العثمانية الذى بدأ فى عهد سلفه السلطان محمود الثانى القاضى على سلطة الانكشارية فى الدولة عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٦) وأول من أدخل التنظيمات العسكرية الحديثة فى الجيش العثمانى . وتبع على رضا فى تسنم ولاية بغداد محمد نجيب باشا (ولايته عام ١٨٤٢م) ونجيب هـذا قوى وذكى .. سار كسلفيه على رضا وسابقه داود على منهج إصلاحى واشتهر بتأديبه العشائر الثائرة فى أطراف العراق واستعماله سياسة القوة فى ذلك . وكان الأخير هو عبد الكريم باشا ولم يكن كأسلافه فى شؤون الولاية والإدارة

وبعده جاء رشيد باشا . عاصر الألوسى أبو الثناء هؤلاء الولاة ، وكان كل منهم الحاكم بأمره والطيع الأعمى أيضا ينفذ ما يريده السلطان العثمانى من جباية المال ، وجمع الضرائب . والألوسى بطبيعة الحال وبطبيعة مراكزه ووظائفه المتصلة اتصالا مباشرا بالجمهور ، ينصاع لتيار الرأى العام ويستجيب لمطالبه وحاجاته . ولم يكن الألوسى بالرجل الجبان ولا بالشخص المستسلم لمشيئة أولى الأمر ولولاة البلد ، بل كان على العكس لا يهاب السلطان ، ولا يخشى الولاة ، ولهذا نراه ينضم إلى الأحزاب المعارضة للسلطة الحاكمة، نراه يناصر داود باشا على على رضا باشا فى وقت عز النصير لداود ، وانفرط من كان حوله من الحاشية والأنصار ، وأدت مناصرته لداود باشا ، ومؤازرته له أن حبس فى سجن (نقيب أشراف بغداد) . وبعد أن أفرج على رضا عنه ابتسمت الدنيا له وشرب القليل من نعيمها ، ولكن لم يطل له ذلك إذ سرعان ما عاد عليه النحس بعد السعود وذلك فى عهد ولاية نجيب باشا الذى عزله من منصبه العظيم (الفتوى) وأساء (٣) معاملته ، فساءت حاله واسود الزمان فى وجهه فصبر وثابر حتى قصد عاصمة السلطنة العثمانية (اسطنبول) فنال من دهره ما أراده . عاش الألوسى أكثر من نصف قرن ، وفى عهـد اختلت فيه القيم الاجتماعية والمقاييس الأدبية كما أن الحرية الشخصية والكرامة والعقيدة كانت حديث خرافة ليس إلا ! عاش فى عصر مظلم ليس فيه للقوانين والأنظمة سلطان ولا سيادة ، هذا مع العلم — كما أشرنا — أنه عاصر ولاة مصلحين محبين للصالح العام ، ولكن ماذا يفيد الوالى المصلح إذا كان الجهل ضاربا بجرانه؛ والتعصب والتخريب هو السائد وهو المتحكم ! كما أن الرغائب الفردية هى الكل فى الكل ، والبلد كله فى هرج ومرج . إذن نقولها غير مترددين : إن الألوسى الكبير عاش فى عصر الظلم والظلام . . وكل عصور الظلم والظلام حيث لا عدة للشخص فى الحياة إلا القوة والبطش أو استعمال الذكاء والأساليب الملتوية ، فى كل عصر من هـذه العصور السود ، تسود البلاد الفتن والفوضى ، ويخيم الجهل والخرافات كما تنعدم المرافق الزراعية والصناعية والثقافية ، وهذه كلها هى العلامة الفارقة لبغداد بعد

(٣) أعلام العراق — لمحمد بهجت الأثرى (ص : ٢٤)

سقوط خلافة بنى العباس وبعد هجمات التتر والإيرانيين والتركمان والأتراك . . وعصور الظلم والظلام التى ذكرنا صفتها البارزة تمتاز مع ذلك بظهور النبوغ الفردى ، والكفاءة الشخصية ، إذ يظهر أشخاص يجدون فى هذه المفارقات الاجتماعية ، وفى تقلبات الظروف والأحوال مجالا لعبقريتهم النفاذة وشخصيتهم اللامعة ، كما أن التجارب المتعددة والمفاجئات الباغتة توجه أعصابهم للتكيف الاجتماعى واحتيال الفرص لنيل مآربهم وغاياتهم . والألوسى الكبير ، بلا ريب ، من هذه الشخصيات ، لأنه زج نفسه فى زحام المعارك وكان فى عهود الولاة الأربعة ممثلا للرأى العام فى قصور الولاة والحكام على رغم الحوادث التى لم تفل منه بل زادته صلابة وثباتا ! لأنه — وهو ابن بغداد الصميم — والمتصل اتصالا مباشرا بالجماهير التى يعظها ويخطب فيها ويفتى فى شؤونها الأخروية والدنيوية ، لأنه وجد ألا سبيل لمقارعة الحكام الظلام ، والولاة الطائشين ، ومن يحيط بهم ويؤازرهم من ذوى الأغراض والأطماع إلا بالتكتل والتجمع والمطالبة الصريحة بالإصلاح ، وهذه الصفات بينة فى حياته المضطربة القلقة ، تبيانها فى مؤلفاته الدينية والعلمية والأدبية . فهو فى كلتا الحالتين متأثر فى بيئته ومجتمعه ؛ وكل كتبه المطبوع منها والمخطوط ترينا صحة هذا القول ، فهو العربى العراقى البغدادى الأول الذى ناوأ السلطة وجاهر بعداء الولاة ، هذا فوق أنه صدر العلماء وزعيم الحركة الثقافية والعلمية فى عصره والمجتهد الدينى؛ وهو كما قال أحد تلامذته (٤) (خير علماء المسلمين الواصل إلى رتبة الاجتهاد) فهو المصلح الدينى والاجتماعى ، وتفسيره الفخم (روح المعانى (٥)) يرينا صدق قول تلميذه بأنه واصل إلى مكانة الاجتهاد ، لأن الألوسى يوجه المسلمين إلى إصلاح وتقويم وترميم كيانهم الاجتماعى المنحل المتفسخ قبل مائة عام . . وهو بعد ذلك مرآة حساسة دقيقة لعصره الذى رسمنا ملامحه فى السطور السابقة ، وهو يرينا بعواطف الأديب ، وأحاسيسه الرقيقة وذوقه السليم ، يرينا الحالة الاجتماعية والثقافية والأدبية لذلك العصر بصورة واضحة بينة ، لا كذب فيها ولا تزويق

٢ — البيت الألوسى :

اشتهر الشرق العربى ومنه (العراق) فى القرن الماضى بوجود عائلات علمية تحمل العلم والأدب من الأجداد إلى الأحفاد.. ومن هذه العائلات أو البيوتات فى مصر ، الشرقاويون والرازقيون (آل عبد الرازق) والرافعيون وغيرهم ، ومنها فى لبنان اليازجيون والبستانيون والشرتونيون ، أما فى العراق فقد اشتهرت فى بغداد بيوتات كثيرة تمتاز بحصر العلم والأدب بأبنائها فحسب ، وأشهر هذه البيوتات الألوسيون والسويديون والواعظون والرحبيون والحيدريون والزهاويون والقمريون والطبقجليون .. الخ

وهذه العوائل البغدادية تمتاز فوق أنها تحمل الصفة العلمية التى تتوارثها ، فهى اختصت بصفة أخرى لا تقل عن الأولى أهمية وخطورة ؛ ألا وهى فروع العلوم من منطق وكلام وأدب وحديث ، تنحصر فى عائلة منها فقط ، ويبقى هذا الفرع فى نماء وازدهار فى الأجيال القادمة من العائلة نفسها ، فبيت السويدى اشتهر بالحديث والمنطق ، وبيت الواعظ بالوعظ ، وبيت الزهاوى بالمنطق والكلام ، وكثير من الفقهاء ظهروا من بيت الطبقجلى والرحبى . ويضاف إلى ذلك ما لانحصار الثقافة العلمية فى العائلة الواحدة من أثر عظيم فى خلق الجو العلمى والأدبى فى صقل المؤهلات وتقويم الملكات والتوجيه الصحيح المستقيم ، إذ أن الطفل فى أمثال هذه العوائل يشاهد أول ما تتفتح عقليته ويشتد ساعده ، يشاهد جوا علميا يقومه ويعينه فى خلق مستقبل علمى صحيح ... وهذا القول يظهر جليا واضحا فى الألوسى المترجم له ، إذ أنه تتلمذ على أمه وأبيه قبل أن يبلغ سن الحلم ، ثم لقى من رعاية أبيه وأستاذه وتوجيهه وإرشاده ما جعله مضرب الأمثال فى الرواية والحفظ وسرعة البديهة ودقة النظر

فالوراثة والبيئة والتوجيه الصحيح تعاونت فى سبيل خلق رجال هذه العوائل وإعدادهم للعلم والأدب

و (ألوس) التى ينتسب إليها أبو الثناء ، قرية تقع على نهر

(٤) كشف الطرة عن الغرة — للألوسي الكبير طبعها ابنه نعمان (المقدمة ص : ١٤)

(٥) طبع فى القاهرة ببولاق سنة ١٣٠١ هـ ، وأعيد طبعه فى القاهرة أيضا ، وطبع طبعة أخرى فى هندستان

(الفرات) قرب (عانات) وينتسب إليها من العلماء والأدباء محمد بن حصن الألوسي الطرسوسي ، والشاعر المؤيد الألوسي (توفي عام ٥٥٧ هـ) . وقد تضاربت الأقوال في صلة العائلة بألوس ، فمن قائل إن العائلة بغدادية النجار ، ولكن أحد أجداد العائلة فر إلى ألوس من وجه هولاكو التتري عند دخوله بغداد [٦] ، ثم رجع أحد أبنائها إلى بغداد في القرون المتأخرة ، وهذا رأي الأستاذ محمد بهجت الأثري . ويقول صاحب (حديقة الورود) [٧] ما معناه أن أجداد أبي الثناء عاشوا ببغداد ، وقد سافر الشيخ إسماعيل الألوسي من علماء القرن الحادي عشر للهجرة إلى (استانبول) إذ أنعم عليه السلطان العثماني بالمنح والهدايا ، ومما منح له أراض واسعة في جهات عانات وألوس ، فسكن الشيخ إسماعيل وأهله ألوس ، وبقي أبناؤه فيها حتى القرن الثالث عشر للهجرة إذ هاجر منها السيد محمود الخطيب بن السيد درويش وأقام بمدينة السلام . والرأي الثالث هو رأي كاتب مقدمة (روح المعاني) [٨] إذ يقول : (انتقل منها — من ألوس — أجداد شيخنا من نحو مائتي سنة إلى الزوراء) وروح المعاني قد طبع عام ١٣٠١ هـ فيكون تاريخ هجرة الألوسيين إلى بغداد هو القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) . ومن ملخص هذه الآراء الثلاثة المختلفة والمتفقة معا ، لنا أن نقول إن العائلة الألوسية بغدادية الأصل ، وأنها اضطرت إلى الخروج من بغداد لعوامل قهارة ، منها كثرة الفتن والاضطرابات والغزوات المتعددة ، وانتشار الأمراض ، وأنها سكنت (ألوس) وجعلتها لها مستقرا ومقاما

والذي لا خلاف فيه ولا جدال أن السيد عبد الله بن السيد محمود والد المترجم له ورئيس مدرسي بغداد في عصره ، قد ولد في بغداد وبها ترعرع ، وبعد أن بلغ عبد الله المذكور سن الحلم تزوج (صالحة) بنت الشيخ حسين العشاري [٩] المتوفى في حدود عام (١٢٠٠ هـ) ، والألوسي عبد الله والد محمود الألوسي توفي في بغداد في الطاعون المشهور (عام ١٢٤٦ هـ) بعد أن أنجبت له صالحة ولدين من الذكور هما عبدالرحمن ومحمود ، ولم يكن عبد الرحمن بن عبد الله الألوسي (١٢٤٤ — ١٢٨٤ هـ) أقل شأنا وشهرة من أخيه أبي الثناء ، وقد قضى عمره في حل القضايا العامة ومشاكل الناس حتى قيل إن الحكومة المحلية في بغداد كانت تشكو انصراف أبناء الكرخ إليه ، وصدهم عنها في فصل القضايا ، ورجل هذا شأنه لم ينصرف بكليته إلى التحصيل انصراف شقيقه الصغير . والذي أجمع عليه مؤرخو الأدب في العراق ومترجمو العائلة الألوسية أن هذه العائلة تنتهي إلى الدوحة النبوية الكريمة ، وهذا شرف يزيد شرف العلم والأدب وحسن الأخلاق ، والمترجم له حسني الأب حسيني الأم ؛ ومن المناسب أن نثبت هنا أرجوزة نظمها الشاعر المعاصر الألوسي عبد الباقي العمري ذكر فيها أباء الألوسي وأجداده ابتداء من الألوسي الكبير أبي الثناء ، حتى جده الأعلى عليه السلام . قال العمري :

السيد (المحمود) في الأفعال ... سليل (عبد الله) ذي الأفضال
أبوه (محمود) بن (درويش) الذي ... ينمى (بعاشور) غياث اللائذ
ابن (محمد) سليل (ناصر) ... فالدين ينمى (للحسين) الطاهر
ابن (علي) بن (الحسين) القتري
إلى (كمال الدين) ذي التقرر
سليل (شمس الدين) ذي اليقين ... ابن (محمد) بن (شمس الدين)
سليل (حارس) لشمس الدين ... يعزى وذا النجل شهاب الدين
ابن (أبي القاسم) طاهر النسب ... ابن (أمير) ذاك طاهر الحسب
ابن (محمد) إلى (بيدار) ... يعزى كما قد جاء في الأخبار
وجاء من بعد أبيه (عيسى) ... (محمد) بن (أحمد) بن (موسى)
و (أحمد) من بعده (محمد) ... و (أحمد الأعرج) فهو السيد
ينمى إلى الشهير (بالمبرقع) ... (موسى) إلى (الجواد) ....
(ابن الرضا) أبوه (موسى الكاظم)
أبوه (جعفر) الإمام العالم
ابن (محمد) الإمام الباقر ... سليل (زين العابدين) الطاهر
نجل (الحسين) السبط عالي الهمم ... ريحانة الهادي شفيع الأمم

---

(٦) أعلام العراق : (ص ٧ — ٨)
(٧) المصدر السابق
(٨) روح المعاني (ص : ٥) الطبعة الأولى
(٩) من أدباء بغداد في عهد داود باشا له ديوان شعري مخطوط توجد منه نسختان في مكتبة الأوقاف في بغداد و في مكتبة الآثار في بغداد أيضا ، وقد توفي بالبصرة

نجل (علي) الطهر ذي المفاخر — حاز العلا من كابر عن كابر
وأمه (فاطمـــة) البتول — بضعة (طـه) المجتبى الرسول
صلى عليـه الملك الوهاب — ما اتصلت بين الورى الأنساب

٣ — حياة الألوسي :

إن الدارس لحياة الألوسي الكبير ، تلك الحياة الخصبة المليئة تمتاز بعمقها وعرضها ، ولا تمتاز بطولها ، إذ أن الألوسي لم يزد عمره على الخمسين سنة إلا قليـلا ، وهذا العمر القصير لم ينصرف إلى الخدمة العلمية والأدبية فحسب ، بل انصرف إلى حمل أعباء ثقيلة ، منها عبء التدريس والإفتاء ، وعبء الزوج والأهل ، ثم عبء مجالسة الأنيس والصديق ، وقد وصفه واضع مقدمة التفسير بقوله (١٠) (فهو - إن رأيته يسامر أحبته مشغول الفكر بحل المشكلات ، أو ماشيا لمسجده فهو متفكر بحل المعضلات) . وهذا لعمرى وصف صادق لهذا الرجل الحازم ، الذي لا يعرف للراحة نصيبا ، فهو مع مسامرته لأحبابه وخلانه ، أو مع ذهابه وإيابه ، يكون عقله الباطن يقلب المسائل ويضع التصاميم ، وإذا عرفنا أنه ذاق مرارة الفقر والحرمان في طفولته ، والسجن والهوان في شبابه ، ومصادرة وظائفه ورتبه بعد ذلك ، وعرفنا أيضا حالة عصره المظلم وما فيه من مآس ومشاكل ، وفقد للقيم والمفاهيم ، إذا عرفنا ذلك كله ، لا بد لنا وأن نحني الرأس إجلالا وإكبارا لهذا الرجل العظيم الذي شارك — على الرغم من هذه المراقيل — في سائر علوم زمانه وعبر عن روح عصره أحسن تعبير ، مع أن عمره هو دون عمر الإنسان ، ولنا أخيرا أن نعلل موته المبكر — إن صح التعبير — بسبب جهد أعصابه ومناصراته السياسية ورحلاته وقيامه بمهام التدريس والإفتاء والتأليف

وحياة الألوسي ظاهرة مبسوطة لمن يريد دراسته على الرغم من ندرة التدوين في زمانه وقلة وسائل النشر والطبع أيضا ، فهو قد كتب تاريخ حياته بتفصيل دقيق في مقاماته ، كما ألمع إليها كثيرا في رحلته (غرائب الاغتراب) وهناك ترجمة وافية لحياته في مقدمة تفسيره (روح المعاني) كما أن أحد تلامذته النجباء ، كتب عن حياته كتابا لم يزل مخطوطا وهو (حدائق الورود) هذا بالإضافة إلى معاصريه من الشعراء وأشهرهم الأخرس والعمري ، وأحمد عزت والتميمي الذين رسموا في شعرهم ملامح متعددة عن حياة الألوسي الكبير . ولا يقل المتأخرون من علماء العراق عن المتقدمين في العناية بالسيد الألوسي ، وأشهر هؤلاء حفيده العلامة محمود شكري والأستاذ محمد بهجت الأثري والمؤرخ عباس العزاوي والدكتور محمد مهدي البصير . والألوسي الكبير الذي لاقى العناية التي يستحقها شخصه وأدبه وعلمه في حياته وبعد مماته ، جدير وأهل بأن تزداد عنايتنا به ودراستنا له ، وبخاصة أن ذكرى وفاته المئوية مناسبة حسنة في هذا الموضوع

السلام صلة — محمود العبطة

(١٠) روح (المقدمة : ص : ٤)

٣ - شاعر مجهول

للأستاذ حسني كنعان

لما حط الصقر المصري ابراهيم باشا بثقله على « طورس » وأخذ يتوثب ويتحفز من أعاليه على البلقان، ليغزوها كما غزا البلاد الشامية، سأله أحد الدبلوماسيين الفرنسيين ...

— إلى أين يذهب بفتوحاته، وهلا يتوقف عند حدود تركيا؟ فأجاب:

— إنني أتابع التقدم إلى البلاد التي لا أستطيع أن أتفاهم مع أهلها باللغة العربية

— ثم سأله أحد جنوده الذين لهم دالة عليه عندما كان يزجي الصفوف ويهيئها للقتال، كيف تتحدث سموكم بهذا الشكل عن الأتراك، وأنت من أصل تركي، وفرع أناضولي ...؟ فأجاب:

— أجل أنا من نبتة تركية، ولقد ولدت في البلقان ولكنني عشت في مصر، وإن أرض هذه البلاد وسماءها جعلت مني عربيا، مصرتني هذه التربة الخصبة ببوتقتها، ومصرتني بعصريتها ...

وقائد هذا شأنه وهذا حبه للعرب قمين بأن يكون معبود جنوده المصريين والشاميين، وخليق بهذه المدائح التي خلد الشاعر الجندي اسمه فيها. وما كانت هذه الأماديح مقتصرة في تخليد مآثره في الأشعار والقصائد العامرة فحسب، بل تعدتها إلى الإشادة بذكراه من قبيل شاعرنا في الموشحات والمواويل والقدود والأناشيد. ومن هذا القبيل قوله من موشح يصف به غزو عكا مما يدل على أن الشاعر كان في ركابه يوم غزاها. ولقد عثرت في الديوان على موشح من نغمة الجهاركاه يصف الشاعر به هذه النزوة، والموشح معنون « بعنوان زارني الحبيب »

صاحب السعود قاهر الأسود ... الغازي الغضنفر قائد الجنود
في عكا أقام ساعة الزحام ... على القيام وتبسة السجود
رتب الألوف حولها صفوف ... عود السيوف فرقة الصمود
نظرت العساكر كالأسد الكواسر

غنت القنابر تشبه الرعود
لاحت البيارق فوقهم خوافق ... جازت الخنادق وهي كالفهود
دقت الصنوج والطبل الرجوج ... أبحر تموج ما لهـا خمود
والجيش الجهادي مطلق الأيادي ... ألحق الأعادي في بني ثمود
والسور العظيم صار كالرميم ... وانثنى الغريم يلطم الخدود
أول النهار خيم الغبار ... وانتهى الحصار وابتدا الصعود
ذاك اليوم كان أوحد الزمان ... لا تـقل فلان . الدنيا شهود
أيها القدير أيد الوزير ... الغازي الشهير واعطه الخلود

ما كان الشاعر متغاليا ولا متزلفا في مدحه هذا القائد الفذ، وإنما كان عاشقا له معجبا به ولا سيما بعد أن صحبه مدة، وعرف مراميه ونزعاته، وقد أعلن الأمان على الجدران في إعلانات خاصة عند ابتداء الفتح ودخوله القدس، وأخرج منادين ينادون في الطرقات بأن عدالته تشمل الجميع على السواء، وأنه يفتح قصره لسماع كل شكاة ورفع كل ظلامة - وأن جميع الطوائف حرة في معتقداتها، وممارسة طقوسها الدينية والمذهبية كيفما تريد، وأنه سيحذو في هذا السبيل حذو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ويسير في النهج على منواله، وهذا ما حبب الشاعر به، وحبب الرعية إليه مما حز في نفوس الأمم الاستعمارية الطامعة في تركيا وجعلها تعجل بإطفاء هذا القبس المتوهج الذي لو ترك وشأنه لاهتدى بأضوائه خلق كثير .. فوضع شيخ المستعمرين العراقيل في تقدم النور، وسارع لإطفائه، حيث ألب على القائد العظيم شعوبه الراضية به . وأقام الثورات من خلف جيشه في سواحل لبنان . . . وفي جبل العرب أعني جبل الدروز ، ونزل شيخ « الشياطين » . . . من الشواطئ وأعمل المكائد في قفاه ، فخشي القائد شر الفتن الداخلية والثورات المحلية وجلا عن بلاد الشام ، وعاد الجيش التركي من حلب بمساعدة الشيطان الرجيم شيخ المستعمرين . . واحتل البلاد من جديد وأخذ يتتبع خطا أتباع الباشا الفاتح ، لينكل بهم ويثأر منهم، وكان شاعرنا في طليعة المغضوب عليهم فما نجاه من حبل المشنقة سوى فراره إلى مصر مع القائد الكبير . . . فوجد هناك في القاهرة آفاقا جديدة في سماء الشعر مفتحة أمامه فحلق في أجوائها كل محلق، وتعرف على أدبائها وشعرائها وامتدح أمراءها وزعماءها ومدح مآثرها ومساجدها وحصونها وقلاعها . والديوان مفعم بمآثر مصر الخالدة ، ولقد امتدح قلعة محمد على باشا الكبير بقصيدة عامرة تقع في (٣٢) بيتا أختزل منها ببعض أبيات لضيق

القام لأبرهن بها على تأثير هذه الآفاق الجديدة فى نفسه

عروس كنوز قد تجلت بمسجد … مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة العليا تزخرف قاعها … بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
أم المكرمات الآصفية أبدعت … هيولى أعاجيب بصورة مسجد
فذا مسجد معناه يشهد أنه … بمبره المحمود من غير مسعد
فدع قصر غمدان وأهرام هرمس … وإيوان كسرى وانظرنه لتهتدى
ودع إرم ذات السوارى وحسنها … وعرشا لبلقيس كصرح ممرد
ودع أموى الشام واترك بمصرنا … وبادر لهذاك البناء الممدد
لئن جاء فى الدنيا وحيدا ومفردا … فلا غرو فالمنشى له ذو تفرد
محمد آراء على مآثر … عزيز ومولى كل سام ممجد
هو الشمس لم يحجب سناها غمامها … ولا أنكرت أضواءها عين أرمد
وكم منشآت كالرواسى بنى لها … فمجيا جرت فى البحر ذات تشيد
معاليه جلت عن نظير وأصبحت … تباهى جميع العالمين بمفرد
فعرج على تلك المآثر وابتهج … بآثار هذاك الخديوى الممجد
وعاين بناء يستضىء منزها … لطرفك فى روض البهاء المخلد
أمين بنى الجندى قال مؤرخا … تريك على قدر العزيز محمد

فأنت تعرف من ثنايا هذه الأبيات مقدار الأثر البالغ الذى تركته فى نفسه هذه القلعة التاريخية العظيمة التى يصفها فى شعره بمنزلة قصر غمدان وأهرام هرمس، وإرم ذات الأسوار والمناعة، ويضعها فى القداسة بمنزلة الأموى فى دمشق ، بيد أن هذه القصيدة على إعجاب ناشر الديوان بها، وتلك المقدمة النفيسة التى قدمها لها فى الديوان، لا أراها تمثل فى الروعة أشعاره فى الغزليات والأماديح والتشاطير والتخاميس، وله فيها أبيات يعجز القلم النثر عن وصفها لجودتها ورونقها وجمالها وتنسيقها . ومتى أتينا على بحث هذا النوع من الشعر نريك نوعا منها ، ويبدو أن صاحبنا لم يك ذا باع طويل فى الوصف ، ومن أبيات له من هذا القبيل فى وصف الشطرنج أرى ألا مندوحة عن نشرها للاطراف فقط وليس للفن ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على هيامه بهذه اللعبة التى كانت سلوته وسلوة القائد المصرى فى ساعات الاستجمام والراحة ..

أقول إن لاعب الشطرنج … كفارس هاج ببحر المرج
ولا يزال ناصب الفخاخ … يصطاد من جاء من الرخاخ
كأنه ليث الشرى المفترس … لا سيما إن أرخى عنان الفرس
وصالت الأفيال للأفيال … فى حومة القتال والجدال
وابتدرت أمامها البيادق … تمضى فمنها سابق ولاحق
وبارز الشاه أخوه الفرز … وانهتك الستر وزال العز
وميز الغالب بالتأييد … وبان فضل باعه المديد
وأقبل النصر من الإله … وانفصل الحرب بموت الشاه

ولا أنكر أن إقامته فى مصر صقلت شاعريته ورققت من حواشيه ، بيد أن هذه الإقامة كانت مقتصرة على إظهار الولاء والمحبة للمضيف الكبير الذى أغدق على ضيفه الشاعر المنح الكثيرة والأعطيات ، وكان جل هم الشاعر فى مصر أن يوسع آفاق علومه ومعارفه ، ويتعرف إلى أكبر عدد ممكن من أرباب هذه الصناعة ، أعنى صناعة الشعر والفن ، وكان الوالى التركى يلح فى طلبه ليثأر منه جزاء وفاقا لما أحدثته أشعاره من دعاية موفقة للفاتح المكتسح الذى دانت له سلطة البلاد التى غزاها طوال هذه المدة

« يتبع »

دمشق — حسنى كنعان

شرعة القومية وشرعة الاسلام

بمناسبة مرور ١٣٧٠ سنة على هجرة النبي

عهد العلامة وليم ماكدوجل

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إن الشرائع العالمية وهي المسيحية والإسلام والبوذية ، كل منها تتطلع إلى السيطرة على العالم ، وجعل الناس جميعا تحت لوائها، وترى كذلك إلى تحديد قواعد الفضيلة والخلق للبشر

أما الشرائع القومية ، ومنها شرائع اليهود والبراهمة واليابانيين والصينيين ، فإنها تحدد مراميها في جماعة أو قبيلة أو أمة أو دولة بعينها، لأن تعاليمها لا يمكن أن تناسب جميع البشر بعكس الشرائع العالمية السابقة الذكر

ونحن نعلم أن المبادئ الخلقية في جميع المدنيات تنحصر في طائفتين كبيرتين من الشرائع الزمنية والخلقية . فالأولى هي الشرائع القومية التي تعمل في حدود جماعة أو قبيلة أو دولة أو أمة، وهي كذلك لا تقتصر على توجيه الأفراد إلى الخير والسعادة عن طريق معاملته وسلوكه مع غيره ، ولكنها تسيطر عليه في علاقته بالدولة أو الأمة التي هو فرد منها منتم إليها ، والتي يجب أن ينظم حياته تبعا لمقتضيات مصالحها وحاجاتها

أما الثانية فهي الشرائع العالمية ، وهذه تعمل على السيطرة على العالم وإخضاع البشر لقواعد الفضيلة التي ترى أنها صالحة لحياتهم ، ملائمة لهم في كل زمان ومكان . والفرق بين هاتين الشرعتين : أن الأولى قومية وسياسية ، والثانية عالمية خلقية . وهذا الفرق يظهر واضحا عند مقارنة الشريعة اليهودية أو البرهمية بالشريعة المسيحية أو الإسلامية

ففي الدولة اليهودية مثلا لم يكن الحكم حكما روحيا ، إذ عبد بنو إسرائيل إلها قوميا ، فلم تكن شريعتهم تقصر غايتها على تنظيم سلوك الفرد، ولكنها رمت إلى خير الشعب جملة ، واليهود في نظر أنفسهم أفضل شعوب الأرض بما امتازوا به من مميزات وخصائص بأن جعلهم الله شعبه المختار ، ذا المزة الخالدة والمجد المقدس ، وفي نظر شريعتهم أن الأخلاق دين وسياسة معا ، وأن هذه الشريعة قامت على رواسي من الوطنية فكفلت البقاء للشعب المشتت في بقاع الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وكذلك استطاعت أن تبقى عليه وتصونه من الفناء في الكثرة العالمية

أما الشريعة المسيحية فإنها روحية بحتة لم تتدخل في الشؤون السياسية بل تركت ما لقيصر لقيصر ، وبذلك طغت تعاليمها على النظام القومي ، لتجرده من العنصر السياسي وعملت على إزالته وهدمه ، لأنها تعمل على غزو العقائد والأوضاع القومية بغير تمييز ولا تفرقة بين جنس وآخر ، أو بين فرد وآخر من أفراد الجنس الواحد ، وهدفها من ذلك انحلال القومية وجعل العالم كله خاضعا للسيطرة الروحية . وفات العاملين عليها أن انهيار صرح القومية الإغريقية كان بسبب اتجاه فلاسفتهم إلى الفكرة العالمية الحرة ، ولم يدركوا أن هذه الفكرة لا تأتلف مع فكرة القومية ومميزاتها ، وقد تقوضت أركان الدولة وزالت من الوجود لأنها عملت على بسط سلطانها على شعوب كثيرة مختلفة الشرائع متباينة العقائد ، فلم يستطع نظامها القومي وشريعتها السياسية (أي نظام وشريعة الدولة الإغريقية) أن تمتص كل هذه العناصر المتنافرة وإن كانت سيطرت عليها زمنا غير قليل . وقد جاء انتشار المسيحية في أرجائها تحولا خطيرا في هيكل أوضاعها الخلقية ، بل إنه أبدل نظامها القومي بشرعة عالمية مجردة عن الفكرة السياسية

وأما اليابانيون والصينيون فقد احتفظوا بعناصرهم الوطنية وروحهم القومية لأن مبادئهم الخلقية تستند إلى دعامة قومية ثابتة . ومن خصائص الشرائع القومية أنها إذا خرجت من بيئتها وامتدت إلى الأمم الأجنبية ، فإنها لا تقوى على الاحتفاظ بأثرها في تكييف حياة الأفراد وتوجيه أفكارهم ونزعاتهم، إذ من طبيعة الأقوام عدم مقدرتهم على الاحتفاظ بمميزاتهم وشخصياتهم إلا داخل حدود أنظمتهم ومبادئهم

والتاريخ العالمي يحكي لنا قصة النضال بين الشرائع القومية ومميزاتها من يوم أن خلقت الشرائع العالمية

أما تاريخ الإسلام فإنه يضرب لنا أقوى الأمثال على اتجاهات الشرائع العالمية وقوتها . فإن النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم) استطاع أن يغرس نظامه الخلقي ومبادئه العالمية في شعب على حالة من البدواة والفطرة، ولكن له عبادته وعقائده وطقوسه الخاصة ، ورغم هذا فإن نظام الإسلام سرى في هذا الشعب سريان الماء في العود اليابس فأعاد إليه الحياة ، واكتسح تياره كل العقبات التي كانت أمامه ، وتكشف عن قوة فائقة من النماذج والتمثيل ، وخضعت له شعوب متباينة الأجناس والأشكال، متنابرة الألوان من بيض وسود وصفر ، وكان خضوع هذه الشعوب عن رضى وإيمان ، وتبخرت بفعل حماسته شرائع متنافرة المبادئ مختلفة العقائد ، كما يتبخر الماء في الهواء، وذلك لأن نظام الإسلام سوى بين الناس ، وجعلهم صفا واحدا كلهم سواء ، ومحا ما بينهم من فوارق الجنس واللون والطبقة والقبيلة ، وحطم الحواجز التي كانت بين أبناء الشعوب بل بين أبناء الشعب الواحد ، وسوى بين الرجل والمرأة ، ونادى بأن الناس سواسية لافضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى والعمل الصالح المثمر. وقد تزاوج العرب مع جميع الأجناس والشعوب التي افتتحوا بلادها فكان هذا سببا من أسباب الانتشار

هذا الانتشار السريع الذي حدث في أقل من قرن من الزمان يرجع إلى أسباب كثيرة..منها ، وأهمها : المساواة بين المسلمين مساواة مطلقة في الدين والدنيا ، وبساطة تعاليمه وقربها من الفطرة ، والتمازج في كثير من عناصر الجنس والثقافة ، وتلاقح الأمزجة من صنوف البشر، كل هذا و غيره أخرج مدنية بهرت شعوب العالم بجلالها وبهائها ورحابة ساحتها وتعدد مناحيها ولم يمض زمن طويل حتى طأطأت رءوس البشر في مختلف بقاع الأرض للثقافة الإسلامية من علوم وفنون ، وحتى غمرت هذه الثقافة الجزء المحصور بين آسيا الشرقية وإسبانيا بالجامعات الكبيرة ودور الكتب العامرة والمساجد الضخمة . في هذا الوقت الذي كانت تزحف فيه الثقافة الإسلامية زحفا سريعا كانت أوربا ترزح تحت أنقاض المدنية الرومانية ، وتئن من الظلم والفوضى والاستبداد

غير أن هذه المدنية الشامخة سرعان ما رأيناها تهوى بنفس السرعة التي سمت بها وذلك لتفكيك الشرائع القومية التي غزاها الإسلام ودخلت في حوزته وما أعقب هذا من ازدهار . فلم تلبث هذه الحركة أن أعقبها السكون وتبدلت القوة وهنا وضعفا، فإذا بنا نرى النور المتألق سنا وقوة ، يخيم عليه ظلام قاتم ويصبح المجد الزاهر قصصا يحكيها لنا التاريخ كأمثلة نادرة لعدالة الحكم والخدمة العامة والبطولة الفذة والتضحية بالنفس والمال في سبيل العقيدة

لا مراء في أن الدين الإسلامي ينتشر في الأمم التي تعيش على البداوة والفطرة ، وأنه كلما التقى بالمسيحية في ميدان التنافس الحر ، صرعها وتغلب عليها ، ولكنه اليوم يعيش بعيدا عن الثقافة البشرية، والأمم الإسلامية ترزح تحت أنظمة من الحكم الذي يخالف الإسلام الصحيح . ودستور محمد وأصحابه الذي استطاعوا به أن يبهروا العالم أجمع ، والذي رضيته جميع الشعوب التي خضعت له في ذلك الوقت

* * *

كثيرا ما سمعنا من البعض أن المبادئ الخلقية الإسلامية مخالفة بطبيعتها للتقدم في شؤون الحياة السياسية، وهذا افتراء لا يقول به منصف ، وتدحضه وثبة الإسلام القوية في أول عهده، وما تخللها من التماسك الروحي والحماس القومي، وما ظهر منها من دلائل الإيمان والقوة والمرونة، كما أن تاريخ المدنية الإسلامية يدلنا على قوة أوضاعها الخلقية السامية ، غير أن بواعث تقدمها السريع هي بعينها نفس بواعث تأخرها وركودها السريع، وذلك لأن الشرائع العالية وخاصة الشريعة الإسلامية ، قد فكت قوى معتنقيها من آسار شرائعهم الضيقة المحدود، وأطلقت لهم الحرية في التعبير والاختيار ، فتنبهت في نفوسهم قوى الإجماع على فكرة واحدة والعمل من أجل هدف واحد والسعي لغاية واحدة، فكان هذا التقدم السريع والارتقاء الخاطف وفاتها وهي تهدم حواجز الجنس والقومية ، أنها تقضي على قوى الارتباط بالأصل والتحلل من الماضي ، فكان هذا الانتكاس السريع الذي حل بهذه الإمبراطورية العظيمة ، لأن التمسك بالقديم في نظري يعتبر عاملا لازما متمما لحركة التقدم السليم ، وما النعرة القومية أو ما يسمونه (التعصب) إلا اعتداد المرء بنفسه وتمسكه بقوميته

٣ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)
« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

ويضارع المتنبي في هـذا أبو فراس الحمداني الذي يحمل القلم سلاحا ذا حدين؛ فهو للأضياف تارة، وللأعداء تارة أخرى ، والكرم والجهاد للمعالي سبيلان :

لقا المدى بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هذا وهذا دأبنـا يودى دم ويراق دم

ويقول بشار بن برد :

وأبسطهم راحة في الندى وأرفعهم ذروة في العلا

ومن أصحاب المعالي المتازين الشريف الرضي ، ففي أبياته الآتية ذخيرة عالية :

أمير العلا من القلى والتجنب
ولولا العلا ما كنت في الفضل أرغب
ملكت بحلمي فرصة ما استرقها
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فإن يك سني ما تطاول باعها
فلي من وراء الجد قلب مدرب
بحسبي أني في الأعادي مبغض
وأني إلى عز المعالي محبب
فللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
يصول على الجاهلون وأعتلي ويعجم في القائلون وأعرب
ولست براض أن تمس عزائمي فضالات مايعطي الزمان ويسلب

فهو راغب فضل ، وصاحب حلم وإباء عن دنيات الأمور ، لا يباعد بينه وبين عز المعالي أراجيف العدو ، ولا فضالات الدنيا ولا حداثة السن

ويلاحقنا في هذا المضمار الملك أبو فراس مرة أخرى ، فلا يرتضي لأصحاب المعالي أن يحول صغر السن دون مآربهم :

وتقاليده ، وهي عاطفة نبيلة ترمز إلى فكرة التحمس الوطني الذي هو عماد الرقي والتقدم وثباتهما ، فإذا تلاشت هذه العاطفة أو ضعفت ، انهار الإحساس القومي وخمدت في الفرد روح التضحية من أجل الجماعة ، وانتفت مميزاته وصفاته الوطنية وصبغته الشخصية ، وزال طابعه الوطني الذي يعتد به ، وهان عليه كل شيء

إن الإسلام قد ظهر في بلاد تعتبر ملتقى قارات ثلاث تسكنها أجناس مختلفة من بيض وسود وصفر ، ويختلفون في معنى القومية، فلما هدم الإسلام هذه الفوارق ونادى بفكرة المساواة بكل معانيها الواسعة ، تزاوج المؤمنون من الأجناس التي دخلت حوزة الإسلام ، بلا ضابط ولا قيد

وإن كان هذا التزاوج سببا من أسباب ازدهار الثقافة الإسلامية بفعل التلاقح البعيد المدى ، إلا أن هذا الاختلاط الذي حدث بين جميع العرب وجميع الشعوب وخاصة الزنوج الذين دل التاريخ البشري على أنهم جنس عقيم الاستعداد للمدنية، بطيء الاستجابة لداعي الثقافة ، لأن حقائقهم العقلية لا تؤهلهم للنهوض فوق مستوى البربرية ، لذلك تغير الدم العربي ، وقلت نقاوته ، وضاعت صفاته المميزة له ، وفسدت سلالات العرب ذات الاستعداد القوي والقدرة على الإنتاج

وبذلك بدأ التدهور يحل بالأمة الإسلامية ويدب في أوصالها الفناء . ولولا قوة تماسك نظم الشريعة الإسلامية وصلاحية قوانينها والتفاف المسلمين حولها ، لزالت كما زال غيرها من الشرائع العالمية الأخرى ، ولما استطاع أن يصمد لكل هذه الأعاصير التي تتزاحم عليه

عبد الموجود عبد الحافظ

أما أنا أعلى من تمدون همة وإن كنت أدنى من تمدون مولدا

ويقول الشماخ فى عرابة بن أوس الذى استطف للقتال وهو دون الأربعة عشر يوم أحد :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رايــة رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وفى الحق أن أبا فراس كان عالى النفس سواء فى حديثه مع نفسه أو عند المحنة النازلة ، فما كانت صفته هذه لتزايله فتى أو ملكا أو أسيرا فى بلاد الروم :

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى
ولا فرسى مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابى الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكننى أمضى لما لا يعيبنى وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير فى دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوأته عمرو
ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر
أعز بنى الدنيا وأعلى ذوى العلا وأكرم من فوق التراب ولا فخر

ثم هو القائل يحدث نفسه ، متثبتا من خطاه فى مدارج العلياء :

وما عابك ابن السابقين إلى العلا تأخر أقوام وأنت مقدم

وليس تميم بن المعز لدين الله الفاطمى أقل من أبى فراس فى هذه الحلبة إذ يقول :

وإنى لآتى كل خطب بمهجة يهون عليها منه ما يتصعب
وأستصحب الأهوال فى كل موطن
ويعزج لى السم الزعاف فأشرب
فما الحر إلا من تدرع عزمة ولم يـك إلا بالقنا يتنكب
ومالى أخاف الحادثات كأننى جهول بأن الموت ما منه مهرب
خليلى ما فى أكؤس الراح راحتى ولا فى الثانى اللذى حين تضرب
ولكننى للمدح أرتاح والعلا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسى وهمتى يروح له فوق الكواكب مركب

وهذا الزمخشرى يرى أن المجد مكسوب لا موهوب ، فيقول :

« لا تقنع بالشرف التالد ، وهو الشرف للوالد ، واضمم إلى التالد طريفا ، حتى تكون بهما شريفا ، ولا تدل بشرف أبيك ما لم تدل بشرف فيك ، إن مجد الأب ليس بمجد ، إذا كنت فى نفسك غير ذى مجد ، الفرق بين شرفى أبيك ونفسك ، كالفرق بين رزق يومك وأمسك ، ورزق الأمس لا يسد اليوم كبدا ، ولن يسدها أبدا »

وهذا ما نسجه أبو العلاء من قبله ، إذ أنزل نفسه منازل السادة واعتز بطارفه قبل تالده :

ولى منطق لم يرض لى كنه منزلى على أننى بين السماكين نازل
لدى موطن يشتاقه كل سيد ويقصر عن إدراكه المتناول

ويقول :

ينافس يومى فى أمسى تشرفا وتحسد أسحارى على الأصائل
وطال اعترافى بالزمان وصرفه فلست أبالى من تغول الغوائل

ويقول إذ أصبح بمكان لا يناله غيره ، ومن السفاهة أن يساميه فيه من هو دونه :

وطاولت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

ويقول :

إليك تناهى كل فخر وسؤدد فأبل الليالى والأنام وجدد

وما تواضع أحد إلا ارتفع ، ولا سيما عند القدرة على الاستيلاء لهذا قال القائل :

سدت الجميع فسدت غير مسود ومن البلاء تفردى بالسؤدد

وقال أبو العلاء :

ولو أنى حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

وفى مقابل هذا يقول ابن مصر القاضى الشاعر ابن سناء الملك

توقد عزمى يترك الماء جمرة وحيلة حلمى تترك السيف مبردا
وإنك عبدى يا زمان وإننى على الرغم منى أن أرى لك سيدا

أليس ابن سناء الملك سليل الفراعنة الشداد الذين حولوا النيل عن مجراه ، ورفعوا الأهرام ، وطاولوا الزمن بالبقاء ،

وضارعوا الخلود بالتحنيط

واختصر ابن المولى جميع المؤهلات فى كلمة واحدة هى «الإسلام» فهو القائل فى مدح الحسن بن زيد :

ولو ان امرأ ينال خلودا   بمحل ومنصب ومكان
أو ببيت ذراه تلصق بالنجم   قرانا فى غير برج قران
أو بمجد الحياة أو بسماح   أو بحلم أو فى علا ثهلان
م ذوو النور والهدى ومدى الأمر وأهل البرهان والعرفان

وهو الذى جعل النبى كالجبل الأشم ، ورهطه كالكواكب العالية ، وكذلك أمير المؤمنين المهدى وأهله من أصحاب المعالى لأنهم ورثة النبى الكريم :

وما قارع الأعداء مثل محمد
إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعب
فتى ماجد الأعراق من آل هاشم   تبحبح منها فى الذرى والذوائب
أشم من الرهط الذين كأنهم
لدى حندس الظلماء زهر الكواكب
وإن أمير المؤمنين ورهطه   لأهل المعالى من لؤى وغالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو   النبى بأمر الحق غير التكاذب

ويجرى أبو العتاهية فى هذا المضمار إذ يرى الزهادة سبيل المجد :

دعنى من ذكر أب وجد   ونسب يعليك سور المجد
ما الفخر إلا فى التقى والزهد   وطاعة تعطى جنان الخلد .
لا بد من ورد لأهل الورد   إما إلى ضحل وإما عد

والفضائل وحدها هى عدة المعالى كما يرى الطغرائى بقوله :

أبى الله أن أسمو بغير فضائل   إذا ما سما بالمال كل مسود

ولقد قال أحد الخلفاء :

«لأن يضعنى الصدق وقلما يضع .. أحب إلى من أن يرفعنى الكذب وقلما يرفع»

وللطغرائى مكانة لامعة بين أصحاب المعالى ، حتى إنه ليجعل للعلا حديث صدق ، وهو العامل بما تمليه عليه من انتقال وحركة ، ففيهما العز ، وليس ببعيد على من ولى الوزارة بمدينة إربل أن يأتى بهذه المعانى السامية التى تتدرج بها لامية العجم المشهورة إذ يقول :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخيرا ، ومجدى أولا شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى   بها ، ولا ناقتى فيها ولا جملى

ومنها :

حب السلامة يثنى عزم صاحبه   عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا   فى الأرض أو سلما فى الجو فاعتزل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة
والعز عند رسيم الأينق الذلل
إن العلا حدثتنى وهى صادقة   فيما تحدث أن العز فى النقل
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى   لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

ومنها :

أعلل النفس بالآمال أرقبها   ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
لم أرتض العيش والأيام مقبلة   فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها   فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

ومنها :

تقدمنى أناس كان خطوهم   وراء خطوى لو أمشى على مهل
فإن علانى من دونى فلا عجب
لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

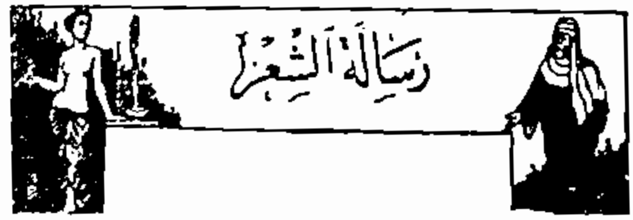
فهذا رجل أصيل من أصحاب المعالى ، فحسبه أن يحفل بالشمس والحمل وزحل ليتخذ من كل ذلك درعا للحياة النشيطة العاملة ، فعرف قدر نفسه وصانها عن كل رخيص دون . وامتطى الأمل الفسيح فى سبيل الارتفاع ، ولم يتخاذل حينما رأى من من دونه يتقدمه فى مدارج الحياة

وليس بلوغ المعالى رهين العجلة ، فقد يكون التأنى سبيل السبق وذلك كما يرى شاعر قديم :

من لى بمثل سيرك المذلل   تمشى رويدا وتجى فى الأول

للكلام صلة

محمد محمود زيتون



نحو الصباح ..

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

(مهداة إلى الناقد الكبير الأستاذ سيد قطب)

حيران يقظان يا فؤادى ... والناس هانون راقدونا
الليل نحو الصباح جسر ... بنى الدجى فوقه الحصونا
تعبره الكائنات وسنى ... بينا عبرناه ساهرينا
فامش معى امش يابن ذاتى ... ولندع القوم حالمينا
لعلنا ندرك الأمانى ... من قبل أن ندرك المنونا
لاتحمد الناعمين واحمد ... بنى العذاب المسهدينا
أولاء آباؤهم بنوهم ... ونحن من يبتنى البنينا
ومن يرم مثلنا طموحا ... هيهات أن يطبق الجفونا
والنوم للخاملين لا لا ... مكبلين ... المذبينا
لست ابن من أقطع الرعايا ... ولا ابن من شيد السجونا
لكننى ابن العواصف ابن السيول والنار أجمعينا
ابنك ياشعب يا صباحا ... يحتل أنفاسه دفينا

* * *

ماذا أرى ياظلام؟ ركبا ... تحت الدياجى عدينا
حافين عارين لاهثينا ... باكين شاكين ضارعينا
وراءهم مارد رهيب ... يزرع فى الأنفس الشجونا
تقطر جنباه كبرياء ... وينتلى صدره جنونا
تدوس هذى العظام دوسا ... كأنه طاحن طحينا
فابك معى موكب الضحايا ... يصعد الشجو والأنينا
رواية مثلت قديما ... مخرجها خفرع ومينا
ولم يزل بعد ألف قرن ... فرعون يستعبد القرونا
قد سارت الكائنات قدما ... فمالنا نحن جامدينا

* * *

ماذا أرى يادموع؟ قصرا ... أراده المجد أن يكونا
حيطانه تلك أم مرايا ... من فوق حيطانه جلينا؟
كأن جدرانه الزواهى ... سقين بالشمس أو طلينا
ياجنة الخلد فى مداه ... وحوله تفتن العيونا
إنا عدمناك مشتهينا ... كما اشتهيناك عادمينا
لا تقبلى بالنسيم إنا ... من نتن الأرض زاكونا
لا ترقصى للربيع إنا ... من ظلمة الكوخ قد عمينا

* * *

ماذا أرى ياحياة؟ إنى ... جننت من حيرتى جنونا
قبران ذا شيد من رخام ... تخطف ألوانه العيونا
وذاك فى صخرة نحيت ... أقسمت ما كاد أن يبينا
هذا عليه الربيع ضاف ... يرف وردا وياسمينا
وذاك يعشى الخريف فيه ... يبارك الموسج اللعينا
ويلاه ياعدل .. يا سطورا ... تنطق بالسخريات فينا
حتى أمام الفناء فرق ... ميزنا جوهرا وطينا ..؟

* * *

يا أمة تعبد التماثيل ... والطغاة المتوجينا
أقسمت لا تحملين إلا ... منافقين أو كافرينا
فامش معى امش يا رفيقى ... مثلى مستغرقا حزينا
فاسة الصبح قد أشمت ... والقوم قد فتحوا الجفونا

محمد مفتاح الفيتورى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

الى معالى وزير المعارف :

سيدى الأستاذ

حديث اليوم إليك كلمات تنوء بالألم وتفيض بالمرارة ، وما أجدر حديثا كهذا الحديث أن تنصت إليه بقلبك قبل أن تنصت إليه بأذنك ، لأطمئن إلى أنه قد هز منك منافذ الشعور قبل أن يهز منافذ الأسماع !

هذا الألم الذى يلهب القلم فى يدى مرجعه إليك ، وهـذه المرارة التى تلفح الأفكار فى رأسى مرجعها إليك أيضا . . . ومعذرة لهذه البداية الثائرة أو لهذه الصراحة السافرة ، لأنها حق « رسمى » تفضلت يوما فسمحت لى به ، وأعربت لى عن تأييدك له ، ما دام شاهده الصدق ورائده الضمير !

لقد كنت أنتظر بعد ذلك اللقاء الذى تحدثت فيه إليك ذات مساء ثم طالعت به الناس على صفحات الرسالة ، أنك ستقف من الأدب والأدباء نفس الموقف الذى وقفته من التعليم والمعلمين : عناية ورعاية ، وتأييد واهتمام ، وعطف على كل أمل مظلوم وكل حق مهضوم . كنت أنتظر هذا كله وينتظره معى الناس ، ولكن الأيام تمضى وعجلة الزمن تدور ، وأنت مشغول عن تلك الحقوق والآمال . . وتذهب مع الريح كل صرخة جازعة ، وكل لهفة ضارعة ، وكل أمنية جميلة كان لها فى النفوس وقع وفى القلوب مكان !

أليس عجيبا حقا أن تشغل عن حقوق فئة تجمع بينك وبينها قرابة الروح ، وعن آمال طبقة تربط بينك وبينها صلات الأدب ؟ ! صدقنى إذا قلت لك إن عجب الأدباء لا ينتهى ، وإن أسفهم لا ينقضى ، وإن كل مظلوم بينهم قد بات ينظر إليك وهو يردد قول الشاعر القديم :

وأرى الأيام لا تدنى الذى أرتجى منك وتدنى أجلى !

أتحب يا سيدى أن تسمع قصة واحد من هؤلاء المظلومين فى عهدك ، عهدك الذى ترقبوه كما يترقب الممحل قطرات الغيث ، وتلقوه كما يتلقى الغريق أسباب النجاة ، وعاشوا على الأمل فيه كما يعيش المحروم على حرارة الرجاء ؟ !

إن لدى بضعة أسماء أود أن أقدمها إليك ، ولكننى أكتفى اليوم بتقديم اسم واحد هو على التحقيق شهيد هـذا الأسبوع . . هذا الاسم الواحد هو النموذج الصارخ الذى يشير إلى غيره من النماذج ، أو هو المثل الواضح الذى يدل على غيره من الأمثال ، واستمع يا سيدى لقصة هذ الشهيد :

شاب من هؤلاء الشباب المخلصين لنشر التراث العربى القديم : يسعى إلى نوادر مخطوطاته فى كل مكتبة هنا وكل مكتبة هناك ، ويمنحها من وقته وجهده وماله فوق ما يحمل طوق أمثاله ممن يجودون فى سبيل العلم بالوقت والجهد والمـال . . عمل جليل كما ترى ، ومع ذلك فقد ظلمته وزارة المعارف حين نسيت جهده أو تناسته ، أو حين جهلت قدره أو تجاهلته ! ظلمته حين وضعته فى مكان غير مكانه ، هناك حيث ترهق الأعصاب وتخور الهمم وتخمد الأنفاس ، وهناك حيث قدر له أن « يلقن » أطفالا أكثرهم من أبناء الأجانب « مبادئ » القراءة والكتابة باللغة العربية . . أرأيت يا سيدى الأستاذ ؟ أرأيت كيف تجبر وزارة المعارف أديبا على أن يقضى أكثر وقته مع « أطفال » يقوم منهم نطق اللسان ، ثم لا تتيح له من هذا الوقت إلا أقله ليقضيه مع « رجال » من طراز أبى الفرج أو أبى حيان ؟ !

لقد قضت وزارة المعارف أن ينفق الأستاذ السيد أحمد صقر سبع سنوات من عمره فى مدارس الليسيه الفرنسية . . وكأنما أرادت بعد هذا العمر الطويل أن تكافئه على ما قدم من جهود وما بذل من تضحيات ، فأمرت منذ أيام بنقله إلى أقاصى الصعيد ليستقر مرة أخرى بين أطفال مدرسة « كوم امبو » الابتدائية !

اعذرنى يا صاحب المعالى إذا تعثر القلم فى يدى وتنزت الأفكار فى رأسى واستحالت الكلمات إلى صرخات : من المسئول أمام الله حين تفرق وزارة المعارف بين هـذا الأديب وبين أولاده الصغار الذين يتعلمون فى مدارس القاهرة ، وهو يقوم منهم مقام

الأب والأم التي فارقت الحياة وتركتهم وديعة بين يديه ؟ ! ومن المسئول أمام التاريخ — تاريخ الأدب على الأقل — حين يلقى الأدباء على يد وزارة المعارف مثل هذا الغبن ويتعرضون لمثل هذا الهوان ؟ ! إن الحياء يمنعني من اتهامك ، ولكن الحق يدفعني إلى هذا الاتهام . لماذا ؟ لأنك لو شملت الأدباء بعطفك ، وأفضت عليهم من برك ، وقربتهم منك حتى تعرف من منهم مهضوم الحق ومن منهم مظلوم المصير ، لما أهملت وزارة المعارف شأنهم وجحدت فضلهم وتركتهم نهبا لمتاعب الأيام . . من هنا يا سيدى — واغفر للشعور ثورته وللقلم جرأته — تأتى مسئوليتك أمام الله وأمام التاريخ ، لأنك فى الطليعة من هؤلاء الذين يعنيهم هـذا القول الكريم : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ! !

ماذا أقول لك يا صاحب المعالى بعد هـذه الكلمات ؟ أقول لك إن هذا الأديب يجب أن ينصف وأن يوضع فى مكانه . . إن مكانه هناك فى دار الكتب ، أو فى مجمع اللغة ، أو فى تلك الإدارة التى تسميها وزارة المعارف « إدارة نشر التراث القديم » أقسم لك إنهـا تسمية ظالمة ؛ ظالمة لأن تلك الإدارة موجودة حقا ولكنها لا تفعل شيئا . . وتسألنى لماذا فأقول لك : لأن الذين يصلحون لها ويستطيعون أن ينهضوا بها قد قدر لجهودهم أن تذهب هباء مع الريح ، بين مدرسة فرنسية هنا ومدرسة مصرية هناك !

يا سيدى رحمة بالأدب ورفقا بالأدباء ، ومعذرة لهذه الكلمة الثائرة لك لا عليك ، وحسبك منهـا أن شاهدها الصدق ورائدها الضمير ! !

بين شوقى والرصافى :

أعرف فيك إخلاصك للفن ، وصدقك فى النقد ، وجرأتك فى الحق ، وترفعك عن المجاملات . . ولهذا كله أود أن أعرض عليك هـذه القضية الأدبية التى أوغرت على الصدور فى العراق وأثارت من حولى ضجيج الأقلام ! أود أن أعرضها عليك لتشارك فيها برأيك ، هذا الرأى الذى أحتكم إليـه لينصفنى أو لينصف غيرى من المترضين والمهجمين :

لا شك أنك تذكر أننى كتبت فى الرسالة الغراء بضع مقالات أبديت فيها رأيى حول شعر الشاعرين : شوقى والرصافى . . ولقـد قلت إن شوقى قمة شامخة من قمم الشعر فى العربية ، وإن الرصافى لا يمكن أن يلحق بغباره مهما قال القائلون ، لأن شوقى شاعر العبقرية والرصافى شاعر القريحة ، وشتان بين المطبوعين على قول الشعر وبين النظامين !

قلت هـذا فهاجمنى بعض الأدباء هنا على صفحات الصحف وهاجمنى البعض الآخر بالرسائل واللسان ، وهأنذا أنقل إليك ألوانا من هذا الهجوم الأخير :

كتب إلى صديق من « الموصل » يقول : « إنك قد تجنيت على الرصافى حين فضلت عليـه شوقى ، لأن الرصافى أشعر من شوقى ولأن المصريين يسوؤهم أن يؤمر عليهم شاعر عراقى ، ولذلك أهملوه . . ولولا أننى أعرف نزعة « الرسالة » الإقليمية لكتبت ردا عنيفا حول هذا الموضوع ، ولكننى أعرف الناس بأنانية المصريين ! ولهـذا فأنا عاتب عليك تفضيلك شوقى على الرصافى وأنت شاعر عراقى » !

وكتب إلى أديب آخر من « البصرة » يقول » : « ما كنت أحسب أن المجاملة للمصريين تصل بك إلى هذا الحد الذى تفضل فيه شوقى على الرصافى ! ترى هل أنت مصرى أم عراقى ! وكيف تزعم أن شوقى أعظم من الرصافى ؟ والله إن ذلك ليسوؤنى منك . . ولولا أننى أخاف ألا تنشر الرسالة ردى لبعثت إليهـا بهذا الرد فى المفاضلة بين الشاعرين » !

وقال لى أحد الشعراء العراقيين فى معرض الحديث عن مقالاتى حول شوقى والرصافى : « إننى أعجب منك يا أستاذ ، لأنك تريد أن تنال الشهرة بواسطة مصر ، ولهذا لم تجد طريقة سوى أن تحطم الرصافى لترفع من شوقى ! لا يا أستاذا إن الرصافى عظيم عظيم حتى لا يفضل عليه أحد » !

وهكذا كان أسلوب النقد الذى وجه إلى من الأدباء والشعراء . . وبقى أن نسمع رأيك الفـاصل فى المشكلة ، رأى الكاتب الحر والناقد النزيه

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

أنا والله فى حيرة من أمر الأدباء العراقيين ؟ إذا تحدث ناقد مصرى عن أديب مصرى صاح أكثرهم فيما يشبه الغضب والعجب والاستنكار : نزعة عنصرية وعصبية إقليمية ! وإذا سكت الناقد المصرى واحتل مكانه فى التحدث من الأدباء المصريين ناقد عراقى ، صاح أكثرهم مرة أخرى فيما يشبه التأنيب والتثريب : متنكر للعراق ومجامل لمصر وكافر بالقيم ! ونحن بعد ذلك فى رأيهم أنانيون متعصبون ، نحيد عن الحق ونميل مع الهوى حين نحدد للأدب المعايير ونقيم الموازين !

ومن العجيب حقا أن يوجه إلينا مثل هذا الاتهام وما أكثر ما نفيناه ، مقدمين الدليل القاطع والبرهان الناصع على أننا فوق الظنون والشبهات . وما طالما حاربنا تلك العصبية البغيضة على صفحات الرسالة ، ودعونا إلى نبذها بالقلم واللسان ، ورفعنا الصوت عاليا بأن ليس فى الأدب والعلم والفن مصرى ولا عراقى ، وإنما هناك كلمة واحدة نعتز بها ونطالب بأن تكون لنا خير شعار وعنوان . . هذه الكلمة الواحدة هى أن ننتسب جميعا إلى « العروبة » التى تشمل هذا الوطن الكبير ، وتنشر ظلالها السمحة على كل اسم من أسماء أهل الأدب والفن هنا وهناك !

قلنا هذا وكررناه . حتى مللناه ! ومع ذلك فالأدباء العراقيون غير راضين ولا مقتنعين ، حتى نسبح بحمدهم ونشيد بذكرهم ونقيم لأدبهم المعابد والمحاريب .. وإن لم نفعل فالويل لنا من ألسنتهم وأقلامهم ، والويل كذلك لكل عراقى يشير إلى الأدب المصرى من بعيد أو قريب ! من يصدق بعد هذا كله أننا أصحاب تعصب وأنانية أو أصحاب أهواء وأغراض ؟! ألا فليرجعوا إلى كلماتهم التى وجهوها إلى الأستاذ الناصرى وليراجعوا أنفسهم ليعلموا — إذا أنصفوا الحق والواقع — إلى أى فريق يجب أن يوجه الظن أو يقدم الاتهام !

وأعود إلى الأستاذ الناصرى لأقول له إن فكرة المقارنة بين الشاعرين « العربيين » باطلة .. باطلة فى رأى الحق والذوق والمنطق السليم ! إن المقارنة مثلا بين شوقى والمتنبى أو بين شوقى وابن الرومى أو بين شوقى وأبى تمام شئ معقول ومقبول . . معقول لأن الطاقات الفنية هنا متقاربة ، ومقبول لأن الملكات الشعرية هنا متشابهة ، « معدنها » واحد وإن اختلفت مظاهرها تبعا لاختلاف الذوق بين « الصائغين » ! لهذا كله أقبل المقارنة بين شوقى وهؤلاء وأطيق المفاضلة ، أما أن يقارن بين شوقى والرصافى فهى المقارنة بين النهر الكبير والجدول الصغير ، أو بين الذهب والقصدير .. وليغفر لى الأدباء العراقيون « ضعف » الملكة الناقدة أو « غلبة » العصبية الإقليمية !!

ولا حيلة لى بعد ذلك فيمن ينكرون شوقى ويعترفون بالرصافى وأمثاله من الشعراء ، إنهم أشبه بذلك الذى يذهب إلى سوق الفاكهة فتقع عينه على الكمثرى والتفاح ثم لا تقع يده إلا على الجميز والجوافة .. أمثال هؤلاء لا ينتظرون منى جدلا ولا مناقشة ، لأنى لا أطيق أن أناقش أذواقا تجهل فنون الطعم والمذاق ، حين تعرض عليها أنواع الفاكهة فى كل سوق من الأسواق !!

شاعر يودع الحياة :

كنت أقرأ شعره فأعجب به وأثنى عليه ، ومن أضواء هذا الشعر وظلاله رسم له الخيال على لوحة الشعور صورة إنسان ، إطارها الحس المرهف والفكر الناقم والشجن المقيم .. لم أكن قد رأيته بعد ، وحين رأيته عدت إلى الصورة التى رسمها الخيال فلم أجد فارقا بينها وبين الصورة التى رسمها الواقع : كلتاهما تنقل عن الحياة ألوانها الحزينة القاتمة . تلك الألوان التى تترك أثرها العميق فى قسمات الوجه ونبرات الصوت وطريقة الأداء .. وهكذا لقيت الشاعر المصرى الراحل ، صالح شرنوبى رحمه الله !

قال له أحد الأصدقاء الأدباء إننى أذكر شعره بما يرضى الحق ويرضيه ، وإذا هو يسعى إلى ذات مساء ليقدم إلى شكره بعد أن قدم إلى نفسه ، فى صوت يقطر حياء ورقة ؛ حياء الإنسان ورقة الفنان .. وحين أكدت حرارة اللقاء صدق ما بلغه من ثناء ، تبسط اللسان الحيى وتهلل الوجه الحزين ، وانطلق الشعور الملتاع يقص على فصولا من رواية طويلة ، كتبها بمداد الشجن تجهم الحياة وعقوق الناس !

وودعت صالح شرنوبى فى تلك الليلة . . وودعته وأنا أؤكد

له يروى بلقائه ، وأكرر له إعجابي بشعره ، لتطمئن نفسه إلى أن له عند الحرصاء على القيم مكانا فى الأدب العربى الحديث !

ومضت الحياة بصالح شرنوبي حتى علمت يوما أنه قد حورب فى رزقه ، حين فصل من عمله فى إحدى المدارس الأجنبية وكان يحصل منه على أجر زهيد .. فصل من عمله كما قيل لى ، لأنه كان كريما على نفسه فلم يرض لها أن تضام ، ومخلصا لمصريته فلم يرد لها أن تهان ؛ ومن هنا ثار على القائمين بأمر المدرسة دفاعا عن كرامة وطنه .. وطنه الذى لم يلتفت يوما إلى حقه عليه كأديب أو حقه عليه كإنسان !

وتناولت القلم لأعرض مأساته على الدكتور طه حسين ، باشا ولكن معاليه كان قد غادر مصر إلى فرنسا فأمسكت القلم عن الكتابة إلى حين .. ويعود الوزير الأديب إلى أرض الوطن وأوشك أن أتناول القلم مرة أخرى لأتحدث إليه ، ولكن صالح شرنوبى يعفينى من أداء هذا الواجب ، ويودع الحياة والأحياء ويمضى فى طريقه إلى لقاء الله .. فإلى قبره فى ذلك المكان القفر حيث قدر لهذا الجسد المكدود أن يستريح ، أقدم عزاء القلب ورثاء القلم !..

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

وفاة شاعر ومباهج الشعراء

دعا جماعة من الشعراء ، يوم الجمعة الماضى ، إلى ندوة شعرية ينشدون بها فى « مباهج الصيف » بحديقة جمعية الشبان المسيحية ، وكان بين هؤلاء الشعراء الذين سيقولون فى المباهج اسم الشاعر صالح الشرنوبى ، ولكن الأقدار أبت على الطائر الذى ظل حياته كسير الجناح أن يذهب إلى فننه ليغرد ، وشاءت أن تصنع مفارقة فى مجال الشعر والأدب ، فقد نشر نعى الشاعر فى نفس العدد (من الأهرام) الذى نشر به اسمه مع شعراء الندوة !

عرفت الأستاذ صالح الشرنوبى من نحو عام ، لقيته أول مرة فى إحدى الأمسيات بندوة « الرسالة » ولقيته بعد ذلك بضع مرات ، وقرأت له شعرا أطربنى . لمست فى شخصه روح الإنسان وأنس الأديب ، ورأيت فى شعره روعة الفن وصدق الأداء . لمحت فيه رقة الحال المستترة بالتجمل ، ويخيل إلى أنه كان يتجمل بالشعر .. كان يعيش بقصائده التى تعمر جيبه .. ولم يكن يشعر أحدا بحاله ، فقد كان من البؤساء المتعففين ، فلم يثر جلبة حوله . وكان حييا متواضعا ، إن ذكر شعره بالثناء خجل وأبدى شكره فى تواضع عذب

إنسان رقيق النفس ورقيق الحال ، عاش وديعا موادعا ، ومر بأصدقائه ومعارفه مرور النسمة اللطيفة ، وكان فى مصر .. ومع ذلك برز اسمه بين الشعراء !

ويظهر أن شدة الأيام قد استحت من طول مخاشنته ، فحاسنته ، وأخذت به منذ شهور إلى مكان فى تحرير جريدة الأهرام . وأخيرا أراد أن يتغنى بين إخوانه الشعراء بمباهج الصيف ، ولكن الموت عاجله ، فخلى مكانه فى الندوة ، وكان موته حريا أن يحيلها كلها إلى حزن وحداد ، ولكن الشعراء — سامحهم الله — منحوه نصف ساعة ذكروه فيه على عجل ، ثم أسرعوا إلى مباهجهم منشدين !

بدأت الندوة بكلمة من الأستاذ خالد الجرنوسى ، رثى فيها الفقيد وعبر عن أساه لفقده ، وألقت الآنسة روحية القلينى أبياتا فى رثاء الشاعر ، كما ألقى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة رثاء أيضا كانت أحسن ما قيل فى الندوة . ووقف خطيب لم يعلق اسمه بذاكرتى فارتجل كلمة كنا نسامحه على ماجاء فيها من أخطاء وما لابسها من فهاهة لولا أنه ألقى أبياتا من قصيدة الشاعر الفقيد فأقض مضجعه وآلم روحه بما ارتكبه فيها من تكسير وتشويه إذ الأبيات تنتهى بهمزة مكسورة ، فبلغت الجناية مبلغها حينما كان يقلب القافية على أوجه الإعراب المختلفة من رفع ونصب وجر

ومما قاله ذلك الخطيب أن الشاعر مات ولم يحن حينه (بفتح

الحياة) يقصد أنه مات في شبابه قبل الأوان .. وكنت أغض من مثل هذه الزلات لولا أننا في ندوة شعراء يقصدها الناس ليستمعوا إلى ما يلقى فيها وقد يأخذون من أصحابها

ومن تلك الزلات أن الأستاذ خالد الجرنوسي أثنى على الشاعر الكبير السيد حسن القاياتي الذي كان « ضيف الشرف » في الندوة ، فخاطب الحاضرين قائلا عنه : هذا الماثل أمامكم ولم يكن السيد القاياتي واقفا بل كان جالسا على كرسي ...

وتكلم مدرس بكلية أصول الدين ، قدم على أنه سيعقب على الندوة فقال إن مشاركة الآنسة روحية قليني في الندوة تذكر بالشاعرة « الفحلة » الخنساء .. والفحولة هي الذكورة ، بل الذكورة الصارمة ، وقد استعملت مجازا في الشعر لدلالتها على القوة والاقتدار ، فهل يستساغ أن توصف بها الأنثى ؟ على أن وصف الشاعر بأنه فحل أصبح غير مقبول في الذوق المصري

وكنت أود أن يؤثر شعراء الندوة حسن الذوق على رغبتهم في إلقاء ما أعدوه في مباهج الصيف ، فإما أن يجعلوا الندوة كلها في الرثاء أو يكتفوا بما تيسر منه ويفضوها ..

ولكن يظهر أن تلك الرغبة عارمة في نفوسهم ، فاستسلموا لشهوة الإلقاء ، وجانبوا ما يليق ، فراحوا يتحدثون عن البحر والأمواج والجمال

كشكول الأسبوع

◘ أعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية عن مسابقاته لتشجيع الإنتاج الأدبي سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، ويرى بيان هذه المسابقة وشروطها في غير هذا المكان من « الرسالة » ويلاحظ أنه خصص لأدباء وادي النيل جوائز مقدارها ستمائة جنيه في الشعر والقصة والبحث وتحقيق كتاب قديم ، وجعل لأدباء البلاد العربية عامة جائزة مقدارها مائتا جنيه في بحث أدبي . وذلك طبقا لما جرى عليه من تخصيص ثلاثة أرباع الجائزة السنوية — وهي ثمانمائة جنيه — لأدباء وادي النيل . وإباحة الدخول في الربع الباقي لجميع أدباء العربية

◘ استأنف المجمع دورته الحالية في يوم الاثنين الماضي المقبل ، ومما ينظر فيه مسألة الترشيح للكرسيين الخاليين به ، فيحدد آخر موعد لقبول هذا الترشيح

◘ قررت لجنة الجدول للصحفيين نقل أسماء إلى جدول غير المشتغلين ، من بينهم معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف والأستاذ توفيق الحكيم بك مدير دار الكتب

◘ رأت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية أن ما قامت به الإدارة الثقافية بشأن إحياء المخطوطات العربية جدير بالتشجيع والمتابعة ، وعهدت إلى الإدارة في إصدار نشرة سنوية بما تم تصويره وتكبيره لديها من المخطوطات العربية على أن توزع هذه النشرة على أكبر عدد ممكن من الأدباء والعلماء والهيئات العلمية ، وعلى أن يكون موعد صدورها شهر نوفمبر ، ويبدأ بها من نوفمبر القادم

◘ وأوصت اللجنة أن تعنى الإدارة في متحفها الثقافي بتسجيل بعض مظاهر الحياة العربية المعرضة للزوال أمام ضغط الثقافات الأجنبية ، حتى يصبح هذا المتحف وسيلة لدراسة تدرج الحياة العربية

◘ زارت مصر أخيرا الشاعرة العراقية نازك الملائكة ، وهي في طريقها من أمريكا إلى العراق ، فمكثت بها نحو أسبوع . وقد بلغني أنها كانت تريد أن تلقى كثيرا من أدباء مصر ، ولكنها لسوء الحظ وقعت في صحبة

والأزهار والتفاح والرمان » ..

رحم الله الفقيد وغفر لإخوانه الشعراء

أدباء الثقافة بوزارة المعارف :

في الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف طائفة من الأدباء بعضهم من المعروفين لجمهور القراء بأقلامهم وإنتاجهم وبعضهم متأدبون ذوو ثقافة واطلاع. وهم هناك في وضعهم الملائم من حيث قدرتهم وخبرتهم وثقافتهم التي تتطلبها أعمال الإدارة في الشؤون الثقافية المختلفة ، فهناك مثلا من يقرؤون الكتب التي تقدم للتقرير في مكتبات المدارس لإبداء الرأي في صلاحها لهذا الغرض ، وهناك من يترجمون الكتب التي يقع عليها الاختيار ، وهناك من يحررون السجل الثقافي الذي يصدر سنويا مبينا نواحي الثقافة العامة في البلاد المصرية معرفا بما يصدر فيها من مؤلفات ومترجمات وما بها من جمعيات وأندية ومعارض ومتاحف . الخ

وقد تولى الإشراف على هذه الإدارة منذ إنشائها أساتذة من كبار الأدباء ، منهم طه حسين وأحمد أمين وفريد أبو حديد ، والأول هو منشئها وصاحب فكرتها ، وقد اختير لها في أوائل هذا العام الدكتور سليمان حزين بك الذي كان أستاذا للجغرافية بجامعة فاروق ، وهو وإن لم يكن معروفا بإنتاج أدبي إلا أنه في السنوات الأخيرة شارك في النشاط الثقافي العام

بأحاديثه وتعليقاته في الإذاعة وبعض الأبحاث الأخرى

ومن المعروف أن الأعمال الأدبية والثقافية تحتاج إلى مزاج رائق وراحة شعورية موفورة، فأهلها يستهلكون أعصابهم ويعتصرون أفكارهم

لهذا جرى الأمر في إدارة الثقافة على أن يتاح لموظفيها الفنيين شيء من الحرية في مواعيد الحضور والانصراف وخاصة أن بعضهم تقتضي طبيعة عمله انتقاله إلى هنا أو هناك للاتصال بالهيئات الثقافية، ومنهم من يؤثر إنجاز ما لديه في منزله

وبعض الناس حينما يرون ذلك يظنون أن أولئك الموظفين لا عمل لهم.. وقالت بعض الألسنة الطويلة إن إدارة الثقافة (تكية) للأدباء! وقد زين لكثير من المدرسين أن يلجأوا إليها فأرهقوا الوزراء والكبراء بطلب الوساطات ..

ويظهر أن الدكتور سليمان حزين بك مدير الثقافة العام، تأثر بتلك الأقاويل .. ويظهر أيضاً أن بالقرب منه موظفين تضربهم الأسباب الطبيعية دون الغايات المرموقة فيحاولون أن يصطنعوا أسباباً أخرى من الملق والإيقاع بمن يتفوقون عليهم — زين هؤلاء للدكتور حزين أن يغير الأوضاع المألوفة في معاملة الفنيين، واستغلوا في ذلك رغبته في أن ينفي عن الإدارة ما ترمى به من التقصير، ومما يدل على

طفليات دميات في الجو الأدبي فلم تقابل غير قليل جداً مما كان يحسن أن تلقاه

□ تلقيت من «دار المعارف» تهنئة بالعيد مصحوبة برسم جميل موضوعه «فرحة العيد» بريشة الفنان حسين بيكار، والبطاقة والصورة تدلان على ما عرفت به الدار من حسن الذوق وجمال الاخراج

□ نال الجنسية المصرية أخيراً الأستاذان الأديبان علي أحمد باكثير (من أصل حضري) وكامل السوافيري (من أصل فلسطيني)

□ نشرت جريدة «إجبشان ميل» الصادرة يوم الأحد الماضي، مقالا افتتاحيا عالج فيه الكاتب مسألة العرض والطلب في الكتب، ونعى فيه على الناشرين الذين يصدرون التفاهات بحجة أن الجمهور يريد ذلك، وقال الكاتب إن هؤلاء الناشرين مخطئون حين يزعمون أن الطلب يخلق العرض، لأن العرض هو الذي يخلق الطلب، فعرض الأحسن يجتذب إقبال الناس، ففي الحرب الماضية أدى نقص الورق إلى خفض المطبوع من الأدب الهابط في بريطانيا، فتحول الناس إلى قراءة الكتب الجيدة، وعند ما عزفت لهم الموسيقى الجيدة في فترة الغناء استمعوا إليها بتقدير كبير

□ تفتتح فرقة المسرح المصري الحديث موسمها القادم على مسرح الأوبرا الملكية يوم ١٨ أكتوبر المقبل بمسرحية «مسمار جحا» للأستاذ علي أحمد باكثير، ثم تتلوها مسرحية «كدب في كدب» للأستاذ محمود تيمور بك؛ والمسرحيتان مصريتان جديدتان: الأولى بالفصحى والثانية بالعامية. ثم تقدم الفرقة بعد ذلك مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير ترجمة المرحوم خليل بك مطران

□ من غرائب الحذلقة الدالة على الجهل الفاضح في الاذاعة المصرية، أن أحد المذيعين قدم أحد قراء القرآن الكريم بقوله: «... يتلو عليكم ما تيسر من سورة سبق!» يعني سورة سبأ..

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من الخرطوم أن السودان أوفد لأول مرة مندوبين للاشتراك في مؤتمر المستشرقين الذي يعقد في استنبول، والوفد مؤلف من مدير الآثار الانجليزي ومساعده السوداني

هذه الرغبة قوله: انه يريد أن يغير سمعة الإدارة إلى النقيض حتى لا يرغب فيها المدرسون، فيخف الضغط على الوزراء!

وعلى ذلك جعل الدكتور حزين يأخذ أدباء الثقافة بالشدة ويعاملهم بالحرفية في مواعيد الحضور والانصراف واتخذ في ذلك وسائل جاوز فيها عماله المدى اللائق، فقد حدث مثلا أن صعد سكرتيره إلى بعض الحجرات فوجد حجرة خالية بها ثلاثة مكاتب لثلاثة من الأساتذة الموظفين، وكان واحد منهم يتحدث بالتليفون في حجرة أخرى، والثاني يقف في الردهة، والثالث في المرحاض، فأغلق السكرتير الحجرة الخالية لأن موظفيها ليسوا على مكاتبهم .. وذهب بالمفتاح إلى سعادة المدير العام، فحكم على العمل أن يظل معطلا بقية اليوم ...

ونحن مع الدكتور في رغبته المحمودة أن يدفع عن إدارة الثقافة ما ترمى به من التقصير، ولكننا نخالفه في الطريقة

الواقع أن أدباء الثقافة لا يستخدمون في تحقيق الأغراض الثقافية المنشودة كما ينبغي، ولكن ليست الوسيلة أن يحضروا في الثامنة صباحا وينصرفوا في الثانية بعد الظهر، وأن تغلق حجراتهم ليشربوا قهوة لدى المدير العام، إنما الوسيلة الصحيحة أن ينظم العمل الفني وتذلل عقباته وتوضع



نماذج فنية من الأدب والفن

تأليف الأستاذ أنور المعداوى

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

الأستاذ أنور المعداوى الكاتب المصرى المعروف غنى عن التعريف فهو ناقد فذ وأديب ممتاز ومن طلائع المثقفين القلائل فى البلاد العربية . وأقول القلائل لأننا لو أحصينا الأدباء الذين جمعوا بين الثقافتين الشرقية والغربية وأطلقنا عليها اسم المثقفين كما تدل عليها كلمة الثقافة من معنى لوجدناهم من القلة بحيث لا يذكرون تجاه الأغلبية الساحقة من المتأدبين أشباه المثقفين وأنصاف الكتاب

عرفه قراء الرسالة الزاهرة منذ سنوات فى تعقيباته التى أعجبت كل أديب كما عرفه النقاد الموجودون الآن بين ظهرانينا فإذا به يختلف عنهم بعمق المعرفة وإصابة الهدف والاستدلال على الحقيقة وعدم التحيز لصديق أو قريب ومهاجمته الكثيرة من شيوخ الأدب الذين يشطون فيما يكتبون :

وقال قائل منهم عنه « إنه عامل هدم فى الحياة الأدبية لا عامل بناء » لماذا « لأنه منذ أن تناول قلمه ليكتب تحول القلم فى يده إلى معول ثائر ، معول متعصب تنصب ثورته على بعض القيم والأوضاع ! (١) »

ولكنه وهو المارد الجبار الذى نذر نفسه ليغير من مناهج النقد القديمة البالية لم يبال بهذا الكلام الفارغ الذى يلقيه على عواهنه من لهم نصيب ضئيل من الثقافة أو من الذين لم يثبتوا أقدامهم فى مواضعها ؛ راح يكتب ويكتب بكل جراءة وصرامة

(١) مقدمة النماذج ص ١

المشروعات الثقافية التى تستغل فيها جهود أولئك الفنيين ، والدكتور حزين بك أستاذ موفور النشاط ، ويمكن أن يكون نشاطه مجديا لو وجه طاقته إلى معالجة المسائل الثقافية وتوجيه الجهود إلى الإنتاج الذى يرفع شأن الإدارة ويدفع عنها ما تعاب به ، فهنالك مثلا التراث الثقافى المعطل ، والذى يتمثل فى عشرة كتب مخطوطة دفعت الوزارة ثمنها لمحققيها ، ثم حكم عليها بالحبس ! وهناك — مثلا أيضا السجل الثقافى الذى شعرت الهيئات الثقافية فى مصر والخارج بفائدته ، وأبدى الجميع ارتياحهم إليه ، هذا السجل صدر منه عددان عن سنتى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ولا يزال سجل ١٩٥٠ واقفا ينظر إلى الميزانية وينتظر أن يسمح بالأخذ فى إجراءات طبعه وقد أوشكت سنة ١٩٥١ أن تنتهى .. وقد صدر كل من السجلين الأولين فى أوائل السنة التى تلى سنته وكان ذلك فى الوقت الذى لم يكن فيه أحد يقول لمحرريه : لماذا تأخرتم وأين كنتم !

والدكتور حزين بك أستاذ جامعى ، والذى يليق به أن يهتم بالبحث الثقافى ويتبادل الرأى مع من يعملون معه من الأدباء بغية الوصول بالأعمال الثقافية إلى أهدافها المقصودة ، وقد بدا استعداده لذلك حينما دعا الموظفين الفنيين إلى الاكتتاب لإقامة حفلات شاى ، وقد توالت هذه الاكتتابات ، وأقيم بعض الحفلات ، ولكن لم يحدث فيها سوى تناول الشاى وبعض الحلوى ، فلم يتحدث فى موضوع ، ولم يحدث تعارف ، فالجميع زملاء يعرف بعضهم بعضا من قبل ، وكان كل جماعة فى حجرة والمدير العام فى حجرة أخرى مع بعض الخاصة والزائرين . ولعل حفلة الشاى المزمع إقامتها قريبا تكون أكثر جدوى من حفلات الشاى السابقة

إن كل ما نبغيه أن تكون إدارة الثقافة بوزارة المعارف أداة فعالة فى حركة البلاد الثقافية ، والسبيل الذى نراه لذلك أن نستغل الطاقات فى الإنتاج . بدلا من استهلاكها فى مراعاة المراسيم والشكليات

عباس خضر

غير ملتفت إلى نعيب الغربان ونقيق الضفادع، حتى مضت أشهر وإذا اسمه على كل لسان وإذا شهرته تسبقه فى كل بلاد تشرق عليها من بلاد الشرق العربى، وإذا هو بين عشية وضحاها معروف وأثير لدى الجميع، وإذا بريد الرسالة يتلق كل يوم عشرات الرسائل وكلها موجهة إليه، ليعقب على هذا المقال أو يجيب على ذلك السؤال أو يوجه ويرشد أو ينقد ليدل على مواضع القبح والجمال

وكنت أحد الذين يقرأون للأستاذ المعداوى وأحد الذين يعجبون بآراء المعداوى وأحكامه فى عالم النقد والأدب. وقد شاء ربك أن تتصل الأسباب بينى وبينه، فإذا بنا نصبح من أول مراسلتنا أصدقاء. ولا عجب فالأدباء إخوان وأقارب تجمعهم رابطة الفن قبل رابطة الدم والقرابة. ورحم الله أستاذ الشعراء حيث يقول (٢):

إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... نغدو ونسرى فى إخاء تالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد

وأمضى أنا إلى باريس ومن باريس أكتب إليه ثم أعود لأشكو له مأساتى فإذا به يقف منى ذلك الموقف الشريف النبيل الذى يفسد عليه صداقة الوزير فى سبيل الأدب، وفى سبيل إنصاف شاعر. وآنذاك تتجلى لى أخلاق المعداوى على حقيقته أخلاق سافرة للعيان، وإذا به قلب كبير وروح مثالية تضحى بكل شئ فى سبيل الأدب، ومن ذلك الوقت وأنا لا أشك بأن أحكامه فى الأدب والنقد والفن لا تصدر إلا عن دراية وثقافة وحق وخبرة واطلاع، ثم تمر الأسابيع وإذا بريد الكنانة يحمل لى من الصديق الحبيب كتابه الثمين الذى رسمت به هذا العنوان. والكتاب من الحجم الكبير يقع فى « ٢٥٠ » صفحة طبعته لجنة النشر للجامعيين على نفقتها الخاصة، وقد تصفحته بإمعان فإذا به يحتوى على « ٤٠ » مقالة فى مختلف الفنون و « ١٠ » منها عن نقد الكتب. وقد قلت إن تلك الصفحات الفذة فى تاريخ النقد فى مصر والتى ضمنها الكتاب قد نشرت فى مجلة الرسالة الغراء، واطلع عليها القراء فى جميع البلاد الناطقة بلغة القرآن، ولكن يسرنى أن أشير فى هذه الكلمة العاجلة إلى بعضها

أسلوب المعداوى فى هذا الكتاب وفى جميع ما يكتب رصين سهل: لفظ رقيق وديباجة جزلة أنيقة. وهو كما قال فيه أستاذنا الزيات بك فى افتتاحيته العظيمة عدد ٩٤٨ من الرسالة « أسلوب المعداوى كما تراه فى كتابه من الأساليب التى جاء فيه التأليف بين المعنى واللفظ جاريا على سنن الفن الصحيح؛ فالتفكير قوى عصى حار، والتعبير دقيق أنيق مهذب »

أما آراؤه فناضجة قوية تقوم على العقل والعاطفة والتجربة والاطلاع، فن مقالاته التى تغلب عليها العاطفة وأناقة اللفظ حتى لتنسيك نفسك وتأخذك إلى عالم الكاتب والسطور. « شاعرية مصرية تودع الحياة » و « من الأعماق » ولنقف لحظة لنقرأ مرة أخرى قوله فى « من الأعماق » ص ١٦٤

« وأبدا لن ينسى يا دار هواه، يا من كنت وحى قلمه ومهبط إلهامه وحديث أمانيه.. لن ينسى حين غاب عنك أياما ثم ذهب ليرى أهلك فى آخر يوم من رمضان، ملء يديه كما كان بالأمس زهر، وملء عينيه أمل، وملء قلبه حب، وملء نفسه دنيا من الأحلام.. لقد كنت يا دار واجمة، كئيبة.. يمرح فى جنباتك الصمت، ويطبق السكوت! أين يا دار من كانت تفتح له أبواب الشعور بالدنيا على مصاريعها؟ أين أين.. الخ.. »

فأنت إذ تقرأ هذه السطور تحس كما لو كنت أنت صاحب من الأعماق أيا جئت إلى دار الحبيبة لتزورها فإذا بالدار واجمة، والأهل صامتون والدنيا مظلمة وكل شئ ينطق بالموت، بالخراب، بالدمار.. ورحمة الله على صاحبة ذلك القلب الكبير.. وعزاء للصديق المفجوع بأعز أمانيه..

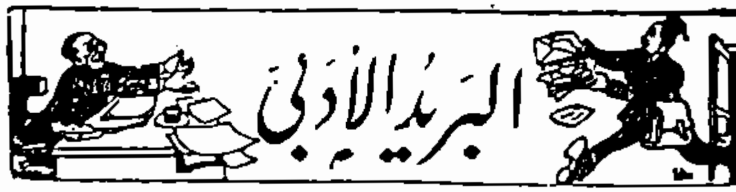
ومن تلك الآراء التى أوافق عليها موقفه « حول مشكلة الفن والقيود » ص ١٦ و « حول مشكلة الأداء النفسى » ص ٣١ و « الفن والحياة » ص ٨٥ و « رأى فى كتابة القصة » ص ١٧٢ و « بيتان لجميل بثينة » ص ١٧٥!

وأكثر آرائه فى القسم الثانى من الكتاب بعنوان « كتب

---

(٢) أبو تمام فى قصيدته البليغة التى يودع بها صديقه على ابن الجهم ومطلعها:

هى فرقة من صاحب لك ماجد ... فغدا إذابة كل دمع جامد



حول الثقافة المصرية في السودان :

إلى حضرة الأخ الفاضل الأستاذ عباس خضر

أرفع إليك تحية طيبة وتقديرا عظيما وإعجابا كثيرا بما تقدمه لقراء الرسالة الزاهرة في باب (الفن والأدب في أسبوع) من مقالات شيقة نافعة . وأشكر لك هذه اللفتات الكريمة التي تخص بها اخوانك أبناء جنوب الوادي من حين إلى حين . هذا وقد دفعني إلى كتابة هذه السطور إليك مانشرته لك الرسالة في العدد (٩٤٩) تحت عنوان : « الثقافة المصرية في السودان » . وأستطيع أن أعتبره موجزا في قولك «وليت وزارة المعارف تخرج عن تلك الرسمية المقفرة فتختار بعض الأدباء المعروفين بآثارهم القلمية الناضجة ليشاركوا في موسم المحاضرات المصرية بالسودان فتتيح لأهله أن يروا الوجوه التي يقرأون لأصحابها ويصلوا مايقرأون بما يسمعون .» وأستطيع أيضا أن أؤكد لك ياسيدي الأستاذ أن هذه هي الرغبة الحقيقية لكل أديب هنا بل رغبة كل قارئ وقارئة في السودان من الذين يتتبعون الحياة الفكرية في مصر

ومع أننا قدرنا للفاروق العظيم ولمصر إرسال تلك البعثات واستفدنا من كل الأساتذة المصريين الذين حاضرونا وعلى رأسهم الأستاذ الجليل الدكتور محمد عوض بك . إلا أننا نقرر الحقيقة ونقرر تأييدا للفتتك البارعة التي سبقت الإشارة إليها أن مجرد ذكر اسم الأستاذ العريان في بعثة العام الماضي أحدث دويا شديدا وتطلعا عظيما لرؤية هذا الرجل الذي عرفه السودان علما من أعلام الأدب منذ نيف وعشرين عاما وكانت محاضراته من النوع الذي ننشده فعلا ، ونتعطش إلى سماته ولاسيما وأنه أعاد لنا ذكرى مشكلة الجديد والقديم في الأدب العربي ، ذكرى ذلك الصراع الفكري بين عمالقة الأدب في حلبة الرسالة منذ أمد طويل ومايزال له إلى اليوم صدى ورنين

وإذا كان لي أن أقترح فإني أقول يا حبذا لو ضمت البعثة

في الميزان » من ص ١٧٩ إلى ص ٢٤٧ - اللهم إلا رأيه في أبيات عمر أبو ريشة :

أريد الوجود ، منهتك يرينا أسراره عريانا
ويفض الندام عن قلبه السمح ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله في نشوة الشعور عيانا

وأبيات محمد مهدي الجواهري :

على الحصير و كوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أهوى على كوة في وجهه قدر فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

فأنا أخالفه.. فهو يعتبر أبيات عمر أبو ريشة عادية لا حس فيها ولا حركة ، وأبيات أو بيتي الجواهري من الفن الأصيل الذي يهزه ويهتز لها صاحب « تحت المبضع » . فأنا بالرغم من الذين يقدرون موسيقى اللفظ وقوة السبك وأصالة الديباجة لا أظن أن شعر الجواهري مهما سما يصل إلى أخيلة أبو ريشة . ولما كنا في صدر الكلام عن الأبيات المتقدمة فإن الجواهري لولا بيته الثاني :

أهوى على كوة في وجهه قدر فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

لما بقي جمال أو معنى لبيتيه . .

كما أخالفه مرة أخرى في رأيه بقصة الأستاذ أحمد الصاوي محمد « زوجات » فأنا أعد الصاوي في كل ما ترجم وألف واقتبس لا أثر له في التوجيه أو الإرشاد اللهم إلا إثارة غرائز الشباب باسم الفن والأدب

وختاما فإن كتاب الصديق الأستاذ المداوي في هذه الأيام التي طغت فيها موجة السياسة على الأدب وكثر التهريج والتزمير باسم النقد.. ليعد اللبنة الأولى في صرح بناء النقد الحديث على ضوء العلم والفن والتروي.. فهنيئا للمكتبة العربية بهذا الوليد النفيس.. وتحية صدق وإعجاب لمؤلفه .. وألف شكر على هديته الثمينة

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

هذا العام رجالا فى وزارة المعارف قرأنا لهم كثيرا وعرفناهم حق المعرفة كالأستاذ سيد قطب والأستاذ أنور المعداوى وعلماء أصحاب ابتداع وتفكير دينى حديث كالأستاذ خالد محمد خالد . وإذا كانت البعثة لا يشترط فى أعضائها أن يكونوا من موظفى وزارة المعارف فكم نحن مشوقون انرى بين ظهرانينا أساتذة الجيل أمثال الزيات وأحمد أمين

وأخيرا وليس آخرا كما يقولون فإنى أذكر أن أعضاء نادى الخريجين بالخرطوم كانوا فى آخر محاضرة استمعوا إليها من محاضرات الأستاذ محمد سعيد العريان فى العام الماضى طلبوا منه أن يبلغ عميد العروبة وأدبها طه حسين رغبة كل المجتمعين بالنادى فى تلك الليلة ورجاؤهم أن يتفضل فيشرف العروبة فى السودان برؤيته

فهل تحقق تلك الأمانى بقدومه هذا العام على رأس بعثة المعارف ؟

الخرطوم جعفر حامد البشير

الولايات المتحدة الأمريكية :

اطلعنا على المقال المنشور فى العدد ٩٤٩ الصادر فى ١٠ سبتمبر الجارى تحت عنوان (الولايات المتحدة الأمريكية) للأستاذ أبو الفتوح عطيفة وقد آلمنى أن يتضمن دعاية سافرة لدولة استعمارية لم تترك فرصة إلا انتهزتها للتنكيل بالعرب وإذلال المسلمين، فقد جاء فى هذا المقال بالحرف الواحد : « أن الشعب الأمريكى يؤمن بالحرية أشد الإيمان ، ولا يرضى بها بديلا وتاريخ أمريكا ينطق بهذا » « وأن العطف الأمريكى على اللاجئين يقابل بالشكر من ناحية العرب والشرقيين » وأن أمريكا بعد توقيع ميثاق هيئة الأمم المتحدة فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ بدأت تشترك فى توجيه السياسة اشتراكا تهدف به إلى سيادة الديموقراطية ومقاومة الطغيان والدكتاتورية والقضاء على أشد أعداء الإنسان :

— الجوع . الشقاء . اليأس

ولا يخفف من سوء وقع هذه الدعاية فى نفوس الوطنيين هذه الفقرات البسيطة التى ضمنها الكاتب عتابا رقيقا لموقف أمريكا من فلسطين العربية .. فإن الدعاية التى قام بها الكاتب للأمريكان من الوضوح لدرجة لا تخفى على الساذج .. بل إننى أؤكد أن الجرائد الاستعمارية التى تتقاضى أجرا من السفارة الأمريكية لا يمكنها أن تفكر فى استخدام مثل هذا الأسلوب للدعاية

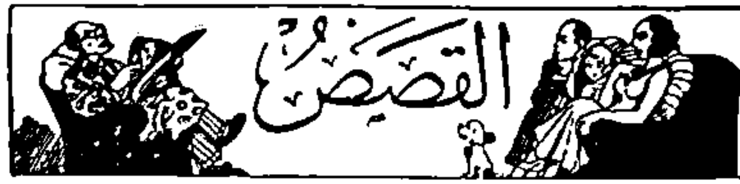
ولما كنت معتقدا أن الرسالة الغراء لا تستكتب سوى الأحرار من الكتاب الذين يساهمون معها فى أداء الدور العظيم الذى قامت ولا تزال تقوم به فى بعث الروح الثقافية والوطنية لا فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية والإسلامية — أقول لما كنت معتقدا ذلك — فقد رجحت أن كاتب المقال قد تورط فيه ولم يقدر الأثر السيء الذى نجم منه

وإننى أرجو أن تنشروا هذه الكلمة لا باسم حرية الرأى فحسب ولكن لكى يتأكد آلاف القراء الذين شاركونى دون شك شعورى بالاستياء من هذا المقال أن « الرسالة » الحبيبة إلى قلوبهم لا يمكن أن تتخذ منبرا للدعاية الأمريكية الاستعمارية كما أطمع أن يساور الأستاذ أبو الفتوح عطيفة النظر فيما كتبه وأن يراعى فى مقالاته المقبلة عن الولايات المتحدة الأمريكية أن هذه الدولة هى أشد الدول استنكارا للحرية وعدوانا عليها

ففى الولايات الجنوبية ١٢ مليونا من الزنوج لا يسمح لهم بالتساوى مع مواطنيهم فى التمتع بحقوقهم العامة والخاصة لا لشئ إلا لاختلاف لون بشرتهم ، وهو سبب يدل على الجهل الذى يغرق فيه الأمريكان ، والتعصب الذى يتناقى مع الحرية المقول بأنهم من أنصارها ، وهذه الدولة هى وحدها التى أعانت اليهود بسلاحها وأموالها ونفوذها فمكنتهم من السيطرة على فلسطين ، وتشريد الألوف من أبنائها ، فما أشبه الأستاذ أبو الفتوح وهو يسجل شكر العرب للأمريكان لعطفهم على اللاجئين ، ما أشبهه بهذا الذى يسجل شكر القتيل لقاتله والسجين لسجانه

إن أمريكا اليوم هي العدو الأكبر الذى يريد أن يرث إنجلترا فى سيطرتها على الشرق الأوسط ، فما أحرانا بالهجوم عليها ، والتشهير بها ، والتكتل ضدها ، بدلا من التورط فى إزجاء شكر لما لا تستحقه ومدح لا تستأهله .

عباس الأسوانى
المحامى



قانصوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الخامس

يوم استقبال

برح السلطان الغوري قصره الكبير عدة مرات إلى ناحية النيل، ليراقب نشاط العمل في بناء السواقي التي أمر بإنشائها لتمد حدائق الميدان بالمياه العذبة المتدفقة في القنوات الخاصة بين النيل والقلعة

وفي أحد أيام ٩١٥ هـ كان العمل في السواقي والقنوات قد تم. وانسلت مياه النيل جارية تسعى إلى البساتين السلطانية. فأشاعت فيها حياة جديدة. ضحكت بها الأرض عن زرع نضر ونبات وسيم. واهتزت الأشجار وتثنت غصونها تثني الساكر النشوان. ودبت بشاشة الحياة في الأعواد، فاخضر يابسها وانبسط عابسها، وتجمع نوارها وأشرقت أزهارها. ودنت قطوفها، وألقت على الأرض ظلا ممدودا

وكان كل بناء في الميدان قد أخذ سمته إلى الكمال كما شاء السلطان: من قصور فخمة إلى غرف بضة، ومن مقاعد وثيرة إلى سلالم مدرجة، ومن جداول رقراقة إلى برك مترعة. إلى غير ذلك مما ينم عن ترف أصيل وعز أثيل، فيه للعين جلوة، وللنفس سلوة، وللأحبة دعاء، وللمسرة نداء..

وأراد السلطان أن يكتمل أنسه، ويبتهج مجلسه، بالعلية من أمراء دولته، والجلة من أعيان مملكته، والصفوة من رجال سلطنته، ليقضي معهم يوم فرح وليلة سرور. ويتذاكرون بعض الشؤون؛ ويزيدون في المودة رباطا؛ وفي المحبة وشيجة، وليتاعموه المتعة بما بناه، واللذة بما شاده، وليسمع منهم أحاديث الثناء عليه، وأناشيد الدعاء له ...

* * *

انتشر الخدم ورجال القصر، منذ صبيحة هذا اليوم في أرجاء الميدان، ينظفون وينظمون ومعهم البستانيون، يجنوا من الفواكه، ومن الأزهار ما ابتسم، وفرشوا المقاعد بحشياتها الثمينة الوثيرة، وفصلوها بالوسائد الحريرية، ونشروا أمامها البسط الهندية النفيسة. ثم زينوا ما بين فرجها بطاقات من الورود والرياحين، ونثروا من فوقها حمائل القناديل الزينية الفنية البديعة، وفي الصدر كنت ترى مقعد السلطان يمتاز عن غيره بعلو يسير مجللا من الممتاز من الحشيات والوسائد، وقد نصبت من فوقه قبة مدورة كبيرة من حرير خالص ذات أهداب ذهبية منتظمة

وقد أمر السلطان أن تملأ البركة الكبرى من ماء النيل عن طريق قناتها الخاصة، وبث مماليكه وغلمانه بين أسواق القاهرة وحدائقها ليجمعوا ما يستطيعون جمعه من الورد ... ثم نثروه في البركة؛ فاختلط شذاه بعنبر مائها. وعام على سطحها وعام، وابتل وجهه منها واخضل، وفتح فمه فنهل من مائها وعل، فدار على قدمه ساكرا، وانطلق لسانه شاكرا، وبني للسلطان عرشا على الماء، وعطر بذكره الأنحاء

وحول هذه البركة اجتمع قراء المدينة ووعاظها يقرءون ويذكرون. حتى دنا منهم الليل، فانصرفوا في هدأة منه بعد ما أصابوا من الطعام والشراب ما لذ وطاب، ولبثوا زمنا حالين بما رأوا من لذة ونعيم

* * *

كان الطهاة قد شمروا منذ الصباح عن سواعد الجد. يطهون

الطعام ، ويتأنقون فى طهيه ما شاء لهم الفن والابتكار . ويبدعون فى تنظيم أنواعه وتلفيق صنوفه ، وتصفيفها بما ينبئ عن ذوق سليم، يناسب هذا الحفل العظيم؛ وحشدوا لذلك مئات من الدجاج والأوز ، وعشرات من الضأن السمين ، وشتان من الماء القراح البارد ، وجفان الفاكهة اللذيذة ما بين تفاح وكمثرى وأعناب ، وهيئت أوانى الحلوى التركية والشامية والمصرية . إلى غير ذلك مما أنفق عليه نحو ألف دينار ؛ فى ذلك الزمن الرغد الرخى الرخيص

وما إن انصرف القراء والوعاظ حتى مدت عشرات الأسمطة الحافلة المنمقة ، وامتلأت الموائد بالأوانى الخزفية وغير الخزفية، ورص فوقها نحو أربعمائة صحن صينى . ثم وزعت المأمونية الحلوية كل قطعة منها نصف رطل ، وفاضت أطباق الأحمال والطير ...

وأهل السلطان وفى إثره أقبل الجمع . واتخذ السلطان مكانه فى المقعد السلطانى تحت القبة ، وعن يمينه جلس قضاة الشرع والعلماء والكتاب والمباشرون ومن على شاكلتهم من طبقة المتعممين ، وعن يساره جلس الأمراء فى أبهة أزيائهم وروعة أسلحتهم ، وبجانبهم عدد من الأعيان

وانتشر فى الميدان حوله كثير من الجند والماليك النورية يحافظون على الجمع الحافل ، والعامة عن كثب تروح وتغدو ، وتحدس ما يجرى فى داخل الميدان ، ويظنون ما شاءت لهم الظنون

أكل الأضياف هنيئاً وشربوا مريئاً . وبعد الطمأنينة انصرف الجمع إلا عدداً من العلماء والأمراء استبقاهم السلطان ليجاذبهم أطراف الأحاديث ويتذاكروا مما شئون الدولة ، ويقلبوا ما مضى من أيامها الجيدة ، ويرددوا ما تنشد من أحلامها السعيدة

فقال السلطان : إن ليلتنا هذه من أسعد ليالى السلطنة

فقال أحد القضاة : أجل يا مولانا إنها العين قرة ، وفى جبين الزمان غرة ، أدام الله لمولانا الابتهاج والمسرة . وأطال عهد ملكه السعيد .. إن هذا الميدان ليدين بتلك الحياة الجديدة المشيئة السلطانية الشريفة . لله ما أجمل القصر والبستان ! وما أروع البرك والمجرى، وما أبهى الغرف والمقاعد ! إن تلك القبة المضروبة فوق المقعد السلطانى الشريف وهذه البسط والوسائد الحريرية وهذه الموائد الشهية ، ومن اجتمع حولها من أفذاذ الرجال ، لتذكرنا بما يرويه التاريخ عن الملوك الصيد من خلفاء بغداد . أحيا الله بمولانا دولة الإسلام ، وأعز به جانب الدين . .

السلطان : الفضل فى هذا التنسيق والنظام يرجع إلى ناظر الخاص القر علاء الدين وأعوانه

علاء الدين : مولانا ! الشكر لله والمقام الشريف . إنما تم كل شئ بإرشاد مولانا وإشارته

السلطان : كنا نود أن يشاركنا الخليفة الجديد فى ليلتنا هذه . . ما رأيك أيها القاضى فى الخلافة وما قام بسببها من خلاف ؟ ألا ترى أننا حسمنا أمرها على خير وجوهه ؟

القاضى : أجل يا مولانا ! لقد كاد يستشرى النزاع بين الخليفة يعقوب وابن عم أبيه خليل ؛ فقد ادعى خليل أن يعقوب لا يصلح للخلافة لأنه أعمى . فرد عليه ابنه الناصرى محمد قائلا « وأنت أيضا لا تحسن قراءة الفاتحة » ! فلما أمر مولانا باختبار خليل وجدناه وهو يقرأ الفاتحة قد تعثر فيها وتلعثم ، ولم يكمل قراءتها ؛ وذلك للثغة فى لسانه . وقد كنت عادلا يا مولانا حينما وكلت الخلافة إلى الناصرى محمد وأقررت عهد أبيه بها إليه . ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عهدكما عهد يمن وإقبال ورخاء للمسلمين أجمعين

السلطان : إن عامنا هذا عام رخاء . ولنا فى وفاء النيل فيه فأل حسن ، فقد بلغ نحواً من عشرين ذراعاً . ولا نزال نحتفل بعيد وفائه شكراً لله على نعمائه . ونحن قوم نتفاءل دائماً

القاضى : إن البلاد جميعها تتفاءل بسلطنتكم الجيدة . والدين أمرنا — بجانب الحذر والحيطة — أن نتفاءل ونقابل الحياة دائماً بالأمل والرجاء . وكما نعمل للآخرة كأننا نموت غداً ، نعمل للدنيا كأننا نعيش أبداً ...

السلطان : صدقت ! وإن دأبي الإنشاء والبناء . ولن آلو جهدا في أن أترك بكل موضع أثرا مشيدا نافعا ، وأن أسلك سبيلي لإعلان شأن السلطنة وإظهار عظمتها ، وللترفيه عن عامة سكانها ، وتزويد البلاد بما ينمي ثروتها ويوسع نفوذها . إن سلطنة مصر اليوم — بعون الله — أقوى سلطنة إسلامية ، وهي من أوسع دول الأرض جاها وقوة ومالا ، وستبقى كذلك ولن ينال منها العابثون منالا .. أين القاضي معين الدين ؟

(يأتي القاضي معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال ونائب كاتب السر — وكان في وجهه دمامة — ثم يتقدم إلى جانب السلطان من الخلف ليقرأ على مسامعه المراسلات والقصص — المظالم —)

السلطان : ما عندك من أخبار البلسان ؟ لقد كانت بلادنا تفخر بزرعه في أرضها لأن له دهنا عجيبا يتالى ملوك الفرنجة في ابتياعه ، إذ يستخدم عندهم في ماء المعمودية . ثم انقطع نبته من بلادنا جملة

معين الدين : لقد خاطبنا بلاد الحجاز عندما علمنا أن البلسان ينبت في بعض جهاتها ، وكلفنا بعض نوابنا فحملوا إلينا شجيرات منه غرسناها بالمطرية ، فنبتت نباتا حسنا يبشر بمستقبل عظيم . فليطمئن بال مولانا

(يميل السلطان إلى بعض خاصته ، ويسر إليه أنه يخجل من مماليكه حينما يرون رجلا مثل معين الدين يقرأ قصصه ومراسلاته)

السلطان (موجها الخطاب إلى معين الدين) : وما أخبار الشاه إسماعيل الصوفي ؟

معين الدين : يعلم مولانا أن الشاه إسماعيل الصوفي ، كان قد تحرك وزحف على الممتلكات الشريفة ، وأعد له مولانا تجريدة كبرى لرده وتأديبه . فلما وردت مراسلات الأمير «علي دولات» أمير التركمان ، بأنه هزم الشاه هزيمة منكرة ، أوقفت التجريدة . وقد أرسل إلينا «علي دولات» عددا من رءوس قتلى العجم من جنود الشاه إسماعيل ، فعلقت على باب زويلة . ولكن الآن يقال إن جند الشاه يعيثون بأطراف إمارة بغداد

السلطان : لقد وفد إلينا رسول من لدن الشاه ينبئ أن جنوده زحفوا على ممتلكاتنا خطأ وبغير إذن منه ؛ فقبلنا عذره وخلعنا على رسوله .. ولكنه لايزال في الخاطر من عمله شيء .. فما الرأي عندك أيها الأمير قرقماس ؟

الأتابكي قرقماس : يامولانا .. الرأي عندي السمع والطاعة لك . إذا أمرت فالسيوف مسلولة ، والرماح مشروعة ، والنفوس تواقة إلى الجهاد والنصر

للفصل بقية محمود رزق سليم
